إبداعات عالمية



364

سبع نساء... سبع قصص

تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات
ترجمة وتقديم: أ. سمير أرشدي
مراجعة: د. زبيدة أشكناني



hamza mizou

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
فبراير 2007



الفنان : صفوان الأيوبي

من كتالوج مختارات تشكيلية

من مقتنيات المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب

طاربات - ١٩٩٦

زيت على قماش - ٥١×٤١ سم



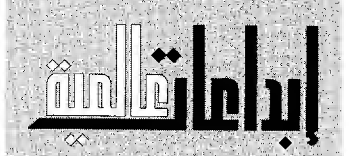
سبع نساء... سبع قصص

تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات

ترجمة: أ. سمير أرشدي

مراجعة: د. زبيدة أشكناني

العدد 364 فبراير 2007 |1|



تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:
بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي

هيئة التحرير:
سليمان داوود الحزامي/المستشار
د. زبيدة علي أشكناني
د. سعاد عبدالوهاب عبد الرحمن
د. سليمان خالد الرياح
د. سليمان علي الشطي
د. ليلى عثمان فضل
د. محمد المنصف الشنوفي

سكرتيرة التحرير
لمياء القبندي

التنضيد والإخراج والتنفيذ:
وحدة الإنتاج
في المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org
E Mail:
ebdaat_alamia@yahoo.com

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	**500** فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	**10** د.ك
للمؤسسات	**20** د.ك

دول الخليج

للأفراد	**12** د.ك
للمؤسسات	**24** د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	**25** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**50** دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	**50** دولارا أمريكيا
للمؤسسات	**100** دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: **28623** - الصفاة - الرمز البريدي **13147**
دولة الكويت

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٠٢٨
ردمك: ٠ - ٢٠٥ - ٠ - ٩٩٩٠٦

سبع نساء... سبع قصص

العنوان الأصلي :

هفت زن

هفت داستان

تاليف: فريدة خردمند - مهين دانشور - منصوره
شريف زاده - ناهيد طباطبايي -
طاهره علوى - پوران فرخ زاده - فرزانه كرم پور.

انتشارات راهيان انديشه

طهران - ١٣٧٨

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2007م

إبداعات عالمية - العدد 364

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٣ - ١٩٩٠)

المقدمة

يعج الأدب الفارسي بشعراء فطاحل أنشدوا قصائد تفخر بها الإنسانية، وحظي الشعر في الثقافة الإيرانية بمكانة مرموقة، وكان أبرز الوجوه الأدبية على الساحة الإيرانية هم الشعراء، وكان الفردوسي وحافظ وجلال الدين الرومي والخيام وسعدي الشيرازي من الشعراء الكبار الذين حازوا شهرة بين شعراء العالم، وقد اختارت منظمة الأمم المتحدة أبياتا من سعدي الشيرازي شعارا لها بعد الحرب العالمية الأولى ونصبتها على بوابة المنظمة في نيويورك، كما حددت العام الحالي ٢٠٠٧ للاحتفال بالشاعر الفارسي جلال الدين المولوي الرومي وتكريمه في أرجاء العالم، وقد امتازت لغة أغلب هؤلاء بالسرد القصصي، حيث إن ملحمة الفردوسي المعروفة بالشاهنامة ألهمت العشرات من الكتاب لتأليف القصص والمسرحيات؛ لكثرة ما احتشد فيها من قصص مثيرة وحكايات حافلة بالعبر والدروس التربوية والأخلاقية والمواعظ والحكم، وديوان «المثنوي» لجلال الدين الرومي يضم أكثر من ٢٥٠ قصة، ضمن ٢٥ ألف بيت، بلغة دقيقة مذهلة تمتاز من الناحية الفنية بروعة الصور البيانية التي عبر بها عن أفكاره، وبرع سعدي في حكاياته (كلستان) التي كانت

مثالا في السلاسة والبلاغة، وتدعو إلى التسامح والأخوة والإحسان والجمع بين الدين والدنيا والاتعاظ والنصح، فضلا عن المدونات الأسطورية التي سبقت الإسلام، والعديد من الملاحم الشعرية والنثرية عبر الأجيال. لكن الأدب الفارسي حديث العهد بالأنماط القصصية الغربية، فليس للقصة الفارسية القصيرة عمر طويل كما للشعر، حيث يعتبر محمد علي جمال زاده رائد هذا المجال، حينما نشر في برلين مجموعة تتألف من ٦ قصص بعنوان «كان يا مكان: في سالف الزمان» في عام ١٩٢١، موجها بأسلوب ساحر وساخر النقد للأوضاع السائدة في بلده.

وقد مثل نمط القصص القصيرة أفضل أداة للعرض المباشر للقضايا الاجتماعية، حيث تزامن مع اندلاع الثورة الدستورية في إيران وانتشار الصحف المملوءة بالهجوم على مؤسسات الدولة، الأمر الذي وفر الفرصة لإنشاء حبكات القصص المثيرة التي خلبت أذهان القراء وشكلت مرحلة لولادة نمط جديد في الأدب الفارسي.

وقد كان لسلسلة مقالات العلامة أكبر دهخدا صاحب الموسوعة الفارسية الشهيرة، التي كان ينشرها في صحيفة «صور إسرافيل» تحت عنوان «جرند وبرند» - أي خزعبلات - دورا مهما في بلورة الأدب القصصي الحديث فضلا عن تأثيرها في بث الوعي بين الناس.

صحيح أن جمال زاده وضع الحجر الأساس للقصة القصيرة في الأدب الفارسي، وبدأ تحولا جوهريا عن قواعد النثر الفارسي الكلاسيكي وتقاليده، واستطاع كسب قلوب القراء ليشكل نقطة عطف في تاريخ النثر الفارسي، لكن المؤسس الحقيقي لهذا النمط الأدبي في الفارسية هو صادق هدايت (١٩٠٣ . ١٩٥١)، ابن الأسرة الارستقراطية الذي بدأ فترة محمومة من النشاط الأدبي عند عودته إلى إيران بعد إنهاء دراسته الجامعية في فرنسا، وساهمت روايته القصيرة «البومة العمياء» في ذيوع صيته كأبرز شخصية تشاؤمية متميزة في تاريخ الأدب الفارسي المعاصر.

تأثر هدايت - مثل الكثير من أبناء جيله - بالأفكار الوطنية والقومية التي سادت أعوام الثورة الدستورية وحكومة رضا شاه، ويمكن اعتباره من الكتاب الأوائل الذين أبدوا انشدادا مميزا للاعتبارات الوطنية والقومية الإيرانية، التي انعكست في لغته القصصية النثرية الضاربة بجذورها في الأدب العامي، مسلطا حراب نقده بأسلوب بديع على الرأسمالية البازارية في إيران.

وفي منتصف القرن العشرين برزت مواهب جديدة أهمها بزرك علوي، الذي تابع دراسته العليا في ألمانيا، وعمل أستاذا جامعيا في برلين الشرقية، وكان صديقا حميما لصادق هدايت، واستطاع في حبكته الاكتشافية البينة في رواية

«عيناها» أن ينجح في إضفاء النكهة الرومانسية التي جعلت قراءة قصصه ممتعة للغاية.

وكان علوي من بين المعارضين الذين سجنهم رضا شاه بسبب ميولهم الاشتراكية، ولم ينس في زحمة أنشطته السياسة مواصلة الإنتاج الأدبي، فاستمر يكتب القصة القصيرة والرواية، واتسمت أعماله بالمنحى السيكولوجي المرتكز على التحليل النفسي، مبتعدا رويدا رويدا عن أسلوبه الأول المتأثر بصادق هدايت.

جلال آل أحمد نجم يتلألأ في سماء الأدب الفارسي المعاصر، وهو الذي لعب دورا حاسما في التكوين الفكري لجيل كامل من الشباب الواعي في إيران، وبدأ مجموعته القصصية الأولى (تبادل الزيارات) في عام ١٩٤٦.

ولا شك في أن الرقابة إبان العهد الملكي أعاقت نشر الكثير من الأعمال الأدبية والإبداعية وألحقت الأذى بالعديد من الشعراء والأدباء، لكنها فشلت في كسر أقلامهم ومواصلة دفاعهم المستميت عن كرامتهم ودينهم وحقوقهم.

سيمين دانشور (مواليد ١٩٢١) أول روائية إيرانية بارزة، لمع نجمها في الأدب الفارسي المعاصر، وهي زوجة المفكر القاص جلال آل أحمد، ظهرت أول مجموعة لها من القصص القصيرة في عام ١٩٤٨ تحت عنوان «النار المطفأة» واشتهرت في رواية «بوح النواح» في عام ١٩٦٩، وهي رواية

سياسية شعبية للغاية، تصور الأوضاع المعيشية المتوترة لأسرة من شيراز خلال الحرب العالمية الثانية، حيث كانت القوات الأجنبية تحتل إيران، ولا تزال تمارس نشاطها الأدبي حتى اليوم.

هوشنك كلشيري، غلام حسين ساعدي، منيرة رواني بور، محمود دولت أبادي من كبار الروائيين الذين أولوا الكثير من الاهتمام لكشف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية من إيران.

ويعتبر دولت أبادي من المرشحين لنيل نوبل للأدب عن روايته «كليدر»، التي تقع في عشرة أجزاء ضخمة زاخرة بالأعمال البطولية، وبزت في حجمها ومغزاها كل ما كتب بالفارسية من روايات على الإطلاق.

المجموعة التي بين أيدينا الآن تضم سبع قصص لسبع نساء من المواهب الجديدة الواعدة، التي استلهمت تجاربها من جيل الرواد، وبدأت نتاجاتها الإبداعية، حيث اعتلت القاصة الإيرانية مكانة مرموقة ومهمة، وبسرعة يزداد عدد المواهب الناشئة بين النساء.

فريدة خردمند كاتبة القصة الأولى (عشيقة الليل)، يتميز عالمها القصصي بالتركيز على التفاعلات الاجتماعية وتأثيرها في نمو الشخصية الإيرانية، وتعد من الكاتبات اللاتي بنين قصصهن على مواقف حياتية، وترى أن من واجب

كاتب القصة نقل التجارب الإنسانية بلغة مبسطة واحترام أحاسيس المتلقي وذهنيته، حيث إن لكل متلق وفقا للتجارب التي خاضها انطباعا متفاوتا عن أي أثر إبداعي يقرأه.

في «عشاء ليلة العيد»، للقاصة مهين دانشور، يتناول النتاج القصصي محاكاة درامية تجسد انتهاء مرحلة زمنية تتزاحم فيها الأحداث، لتزول مع بداية عام جديد يمحي بشذاه روائح التشرذم والتشتت.

منصورة شريف زاده قاصة من مواليد ١٩٥٣، في العاصمة طهران، حصلت على ماجستير في اللغة الإنجليزية، وترجمت عدة قصص لكتاب عالميين، كما ألفت قاموسا للمصطلحات الأدبية، حصلت روايتها «شجرة الصنار» على جائزة الإبداع السنوي كأفضل رواية لعام ٢٠٠٤. «عطر النسكافة» و«مكحلة البلور» من أشهر مجاميعها القصصية، تكتب قصصا للأطفال والناشئة، ولها في هذه المجموعة «صورة فورية».

القصة الرابعة لناهيد طباطبايي، حيث تتناول واقع المرأة بكل تعقيداته ومرارته في قصة «يجب أن نكون كالصخر»، وتغوص في عالم العلاقات المهنية الحافل بالمثابرة، وإسقاطاته على هموم المرأة وقضاياها.

في قصة مستقاة من الواقع كتبت طاهرة علوي قصة «فقدان شخص متوسط»، حيث استغرقت كتابتها وقتا طويلا حتى وصلت إلى شكلها النهائي بعد نقاشات مكثفة مع

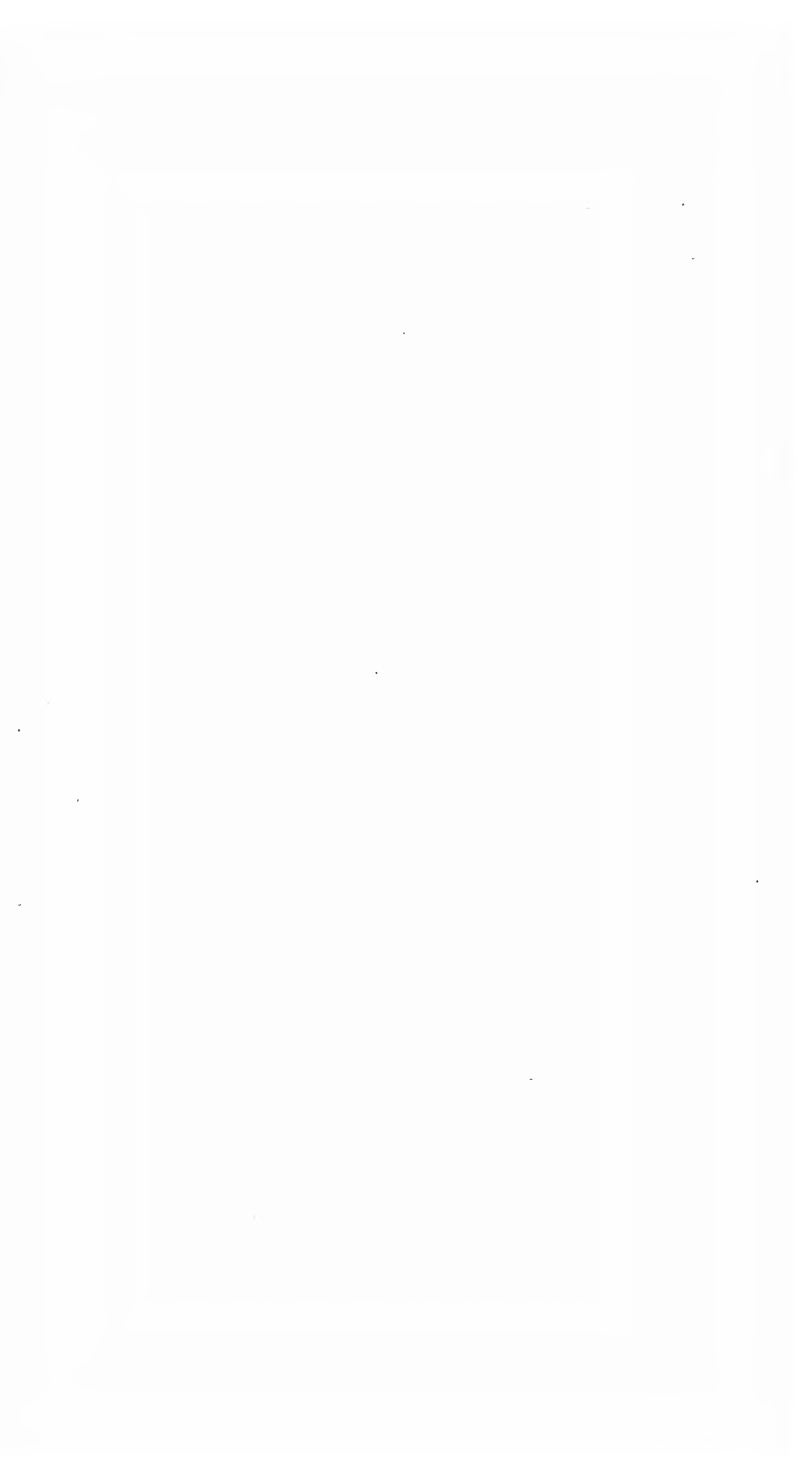
المنقح، قصة ضياع امرأة متوسطة في أحلامها المتوسطة.

أما بوران فرّخ زاد فتسرح في عالم الخيال مصرة على الوحدة والتقوقع، مؤكدة أن القاص في «قفص الأوهام الرمادي» ينظر إلى العالم الداخلي أكثر من اهتمامه بالعالم الخارجي، فلو استطاع أن يكتشف زاوية من هذه الفضاءات المجهولة، يكون قد خطا خطوة عملاقة إلى الأمام في سبيل معرفة الإنسان.

ومسك الختام قصة «القلعة» وكاتبتها فرزانه كرم بور، التي تعتقد أن كل إنسان يقطن في خبايا وزوايا قلعة يمكن أن تكون جدرانها من الزجاج أو من الحجر الصلب، وأحيانا تنهار الجدران بالموت أو تبقى مهملة.

قواسم مشتركة تجمع القصص الفارسية والعربية، لتقارب أنماط الحياة، وتشابه العادات والتقاليد، وتمازج الثقافتين (العربية والفارسية)، ولا شك في أن حركة الترجمة المتبادلة بين اللغتين يمكن أن تشكل همزة وصل حضارية للتثاقف والتمازج بينهما.

أ. سمير أرشدي



القصة الأولى

«عشيقة الليل»

تأليف: فريدة خردمند

طلب مني أن اكتب بعض السطور حول قصة «عشيقة الليل».
قد لا أذيع سرا إذا أفصحت بأني لست مضطرة للجلوس بجانب قصتي أشرح فحواها وسبب كتابتها ومناخها وأصواتها وألوانها وشذاها وشخوصها وعلاقتهم ببعضهم.

إن واجب كاتب القصة في المرحلة الأولى هو نقل التجارب الإنسانية، تجارب الكاتب نفسه أو تجارب الآخرين، وحتى أي خبر في الصحف يمكن أن يكون نواة لخلق القصة. المهم هو احترام أحاسيس المتلقي وذهنيته، حيث إن لكل متلق وفقا للتجارب التي خاضها في مسيرة حياته انطباعا متفاوتا عن أي عمل إبداعي فني يشاهده، سواء كان في الموسيقى أو الشعر أو القصة أو الرسم أو السينما أو التصوير أو غير ذلك.

ما يهمني في مجال كتابة القصة هو نقل التجربة الإنسانية بشكل موجز وبلغة مبسطة، ألا يؤيد هدفنا النهائي من قراءة القصة هذه الفكرة؟

الكلمة الوحيدة التي يمكنني أن أبوح بها حول قصة «عشيقة الليل» القصيرة هي أن هذه القصة قد كتبت لأنها كأي قصة أخرى كان يجب أن تكتب.

فريدة خردمند

حينما وطأت قدماها البلاط أحست بأن صدى قدميها يرن في فناء البيت. كان الرجل يحني رأسه ويسير إلى الأمام. رفعت كعبيها ماشية على رؤوس أصابعها. تحت عريشة العنب كانت هناك طاولة وعدة كراسي من الخيزران، حينما وصلت إلى أقرب كرسي توقفت. إنها الآن بحال أفضل. دعاها الرجل للجلوس بينما هو يدخل المبنى.

كانت هناك قطة كبيرة رقطاء تمر أمامها غير آبهة بها. قطة سوداء نحيفة كانت تجلس أمام بوابة المبنى.

عاد الرجل يحمل صينية عليها فنجانان من الشاي. وضع الصينية على الطاولة. رفع غطاء صحن الحلويات بهدوء وجلس. جلست القطة المرقطة على البلاط بالقرب من قدم المرأة. أنحنت من دون رغبة... داعبت القطة.

من نهاية الفناء سمع صوت وشوشة، سألت المرأة:

- ما هذا الصوت؟

أجاب الرجل:

- الدجاجات.

ديك كبير أبيض بتاج أحمر اخترق وسط الفناء، قالت المرأة عن غير قصد:

- يا له من ديك جميل!

لم ينبس الرجل ببنت شفة. أخرجت المرأة علبة السجائر من حقيبتها ووضعتها على الطاولة.

قفزت القطة السوداء النحيفة على الطاولة. قام الرجل من على الكرسي ليضع القطة على الأرض. حينما جلس انتبهت المرأة

إلى قميص الرجل الأبيض والورود المطرزة على جيبه. **على جيبه** الأيسر باقة من الأزهار مطرزة بدقة، يبدو في الخمسين من العمر والمرأة تصغره باثني عشر عاما.

قفزت القطة السوداء النحيفة على الطاولة ثانية واتجهت صوب صحن الحلويات. هذه المرة قام الرجل بطرد القطة بقليل من العنف. عنف لم تكن تتوقعه المرأة. ألقت نظرة على الأشجار الكثيفة وقالت:

- من الصعب العناية بهذه الأشجار.

- لم يرد الرجل عليها. كان رأسه إلى الأسفل حينما لمح شيئا ما على الأرض. نهض من على الكرسي واستدار حول الطاولة. كانت المراة تتابع حركته بنظراتها. في الجهة اليسرى من الطاولة، على الأرض، حديقة صغيرة على شكل علبة. سلحفاة صغيرة انقلبت على ظهرها داخل المزهرية وهي تتخبط. كانت القطة السوداء النحيفة تداعب السلحفاة. أبدت المرأة انزعاجا أكثر من تصرف القطة.

- لم أكن أعلم أن لديكم سلحفاة أيضا.

قلب الرجل السلحفاة وأبعد القطة عنها لكن القطة لم تترك اللعب. سألت المرأة بلحن طفولي:

- وهل ستموت السلحفاة الآن؟

أجاب الرجل:

- لا.

رفع السلحفاة من داخل العلبة. كانت المرأة تحدق في يد الرجل وهو يضع السلحفاة على الطاولة. قال الرجل:

- فقط... فقط أصبحت ألعوبة للقطة السوداء ثم جلس.

حدقت السلحفاة في عين المرأة بازدراء. وبيديها المقوستين اتجهت مباشرة وبسرعة نسبية صوب فنجان الشاي.

شعرت المرأة بنفور آني بينها وبين السلحفاة. خطر ببالها أن ترفع كأس الشاي بسرعة لكنها لم تفعل ذلك. أدارت وجهها صوب الرجل. قفزت القطة من جديد على الطاولة وذهبت باتجاه السلحفاة. رفع الرجل السلحفاة وخبأها خلفه في قفص خشبي إلى جانب مزهرية الصبارة. رفعت المرأة كأس الشاي بإكراه، لكنها فرحت من تصرف الرجل هذا. رطب الرجل قطعة من الحلوى في كأس الشاي وأكلها بصوت عال.

أشارت المرأة إلى مزهرية عشيقة الليل الموجودة أمامها وسألت:

- لماذا ذبلت أوراقها؟

أجاب الرجل:

- أصابتها آفة.

استفسرت المرأة بألم:

- هل تقصد... أنها لن تزهر ثانية؟

قال الرجل:

- لا، منذ عدة سنوات وهي لم تزهر.

وضعت المرأة فنجان الشاي في الصحن. صوت الديك الكبير الأبيض يملأ الفناء.

سألت:

- هل يصيح دائما في مثل هذا الوقت؟

أجاب الرجل:

- نعم، هذا صوته. لا بد أن يصيح.

خفض رأسه إلى الأسفل. كانت المرأة تلقي عليه نظرة جانبية. نهض الرجل كأنه تذكر شيئا ما واتجه إلى داخل المبنى. حدقت المرأة في مزهرية عشيقة الليل. بعد لحظات عاد الرجل حاملا إناء. في داخل الإناء قطعات من اللحم المطبوخ. أشعلت المرأة سيجارة أخرى... تجمعت القطط حول الرجل لتناول اللحم. عدتها المرأة. أربع قطط: أم مع صغارها الثلاث. جلس الرجل على الكرسي. أخرج سيجارة من العلبة وأشعلها. كانت المرأة تنظر إلى القطط القريبة من بوابة المبنى.

قال الرجل:

- عثرت عليها في البستان بجانب الشارع.

سألت المرأة:

- متى؟

قال الرجل:

- العام الماضي.

واستنشق دخان سيجارته ونفثه وقال:

- كانت صغيرة جدا.

القطط تمضغ قطع اللحم بشهية. قال الرجل وهو ينظر إلى الأمام:

- ما كنت أعلم أنه...

هزت المرأة رأسها. سمع صوت حفيف الأشجار. كانت المرأة قد اعتادت على كل أصوات الفناء. القطة السوداء النحيفة كانت

قابعة على أحد الكراسي وهي تلعق يدها ووجهها. صياح الديك ملأ الفناء ثانية. الصوت الذي كانت تسمعه المرأة حتى ذلك اليوم من بعيد. راودها شعور غريب. لم يكن أوان الذهاب ولا موعد البقاء. رفعت حقيبتها من جانب الكرسي بتثاقل. قلبها كان منقبضا من أشياء تجهلها؛ نهضت من على الكرسي وسارت. كان الرجل خافضا رأسه وهو يسير إلى الأمام. هذه المرة لم تحاول المرأة. لم تمش على رؤوس أصابعها. كانت تخطو بخطواتها على البلاط باطمئنان تام وبيأس وقور. كان صوت الكعب يرن في الفناء. فتح الرجل الباب بهدوء. أدارت المرأة رأسها عند عتبة الباب لكي تودع الرجل حيث وقعت عيناها على عشيقة الليل، وازداد قلبها انقباضا.

أغسطس ١٩٩٦

القصة الثانية

«عشاء ليلة العيد»

تأليف: مهين دانشور



يبدأ الراوي القصة بسرد كابوس ليلي. اليوم التالي، نهار مضطرب بأنوار باهتة هو الاستمرارية المنطقية لتلك الليلة، وهو أيضا الاستمرارية غير المنطقية لكابوس تلك الليلة، الذي يتواصل حتى منتصف الليلة الاخرى حتى أوان النوم، ويرميه في دوامة مستنقع الأشخاص والأشياء والآفاق الضائعة.

ولكن حينما يستيقظ من النوم في ظهيرة اليوم الجديد تبدو له كل الأشياء جميلة وطاهرة ومبسّطة. يترك النافذة مفتوحة ليغسل الهواء العليل لذلك اليوم كل روائح الرعب المتبقية، وليزيل روائح التشرذم والتشتت. ينصت الراوي إلى تغريد الطير.

مهين دانشور

كان يوم التاسع والعشرين من شهر اسفند(*) يوما فريدا. في خضم حياتي الساكنة والصامتة لم تقع لي إطلاقا كل هذه الأحداث المختلفة خلال يوم واحد. كل شيء حصل بشكل مضغوط في هذا اليوم. هل كان هذا دليلا على تغيير السنة والشهر(**) أم أنه كان ذا علاقة بحياتي التي تنطلق كفلتان بكرة الخيط، التي تتدحرج وتتضاعف سرعتها قبل أن تتوقف نهائيا حين تنتهي الخيوط وتتوقف البكرة عن الحركة؟

منذ بداية الأسبوع نويت أن أذهب إلى المكتبات الموجودة أمام الجامعة لتسلم المجلد الخامس من الموسوعة، التي وعدني صديقي أحمدي صاحب المكتبة بأن يحجزها لي. بعد ذلك كانت هناك بعض الأعمال الطفيفة الأخرى وشراء بعض الحاجيات ثم العودة إلى المنزل، كنت أرغب في إنجاز كل الأعمال المتبقية خلال اليوم الاخير من العام الماضي، وأضع نقطة أمام كل منها، ولا أسمح بتأجيل أي شيء إلى السنة المقبلة. لهذا السبب ولهذا اليوم المقبل المثقل بالمهمات أردت أن انطلق في الصباح الباكر حتى لا أواجه زحمة السير المعتادة.

كنت قد نمت بصعوبة في تلك الليلة. كانت التدفئة في بيتنا معطلة منذ أسبوع. أخبرت ورشة الصيانة لتصليحها ووعدتني بالمجيء، ولكنها لم ترسل أحدا حتى ذلك المساء. ووقت العشاء كنت قد تناولت المتبقي من الطعام، ولجأت إلى الفراش أبكر من

(*) آخر يوم من السنة الإيرانية حسب التقويم الهجري الشمسي، ويعادل العشرين من شهر مارس الميلادي (المترجم).

(**) هناك اعتقاد لدى الإيرانيين بأن أحداث نهاية العام تتزاحم وتجد نهاية لها قبل نهاية العام (المترجم).

المعتاد لكي أستيقظ في الصباح الباكر. منعني الاضطراب من النوم. متى ما قررت أن أخرج من البيت في اليوم التالي - لأي سبب ولأداء أي عمل- فإني أصاب بالتوتر في تلك الليلة.

مع ذلك، يبدو أنني نمت بأي حال من الاحوال، لأني رأيت حلما، ولما نهضت من النوم بفزع ازداد قلقي ولم يعد بالإمكان أن أنام ثانية.

حلمت بأني أفتح بوابة منزل والدي، البيت الكائن في منطقة أحمد أباد في أصفهان، الذي يقع اليوم في شارع «سباه». هذا إن لم أكن قد ذكرت اسم الشارع بشكل خاطئ. على كل حال، رأيت البيت على حاله، بوابة عالية وثقيلة ذات نقوش حديدية قديمة. ذات الممر المظلم نسبيا والبارد المفروش بقطع الأحجار الصغيرة المتشابهة. شاهدت آثاراصطكاك الأقدام بالأحجار، ورأيت البحرة والبساتين والأزهار كما كانت سابقا.

عبرت الممر بحيطة وحذر. كل الأزهار متفتحة والأشجار مخضرة. في نهاية الفناء، في الصحن المقابل للغرف الشتوية، كانت أمي وخالتي جالستين تتناولان الطعام. لم تكترثا لوقع أقدامي، كأنهما لم تسمعا الصوت إطلاقا. حينما وصلت إلى السلالم سعلت. فوجئتا والتفتتا نحوي. شاهدتاني ولكنهما لم تتذكراني. أمي كانت بالهيئة نفسها التي أحمل صورتها الضبابية في مخيلتي. متوسطة القامة وجميلة ذات شعر كثيف. الاثنتان سافرتان كما كانت العادة آنذاك. جمال خالتي لم يكن يرتقي لجمال والدتي، ولكن شكلها كان مقبولا. رأيت شعر أمي كالح السواد وهي في أوج شبابها. لكنهما لم تتعرفا علي. رأيت - بدهشة - أنني أتمتع

بوضعي اليوم نفسه: ضخم، بدين نسبيا، ذو شعر خفيف، وغير سليم ومقصّف ورمادي وغير مرتب على الأغلب، مع بقع بنية كبيرة وصغيرة على بشرة وجهي.

كنت قد نسيت ملامح وجه والدتي. وهناك صورة ضبابية عن خالتي العزيزة في ذهني. الآن ـ وهما جالستان أمامي بوضوح تقشعر له الأبدان ـ أرى كم لهما من الحيوية والطراوة والنشاط.

أردت، أو خطر ببالي أنه من الواجب أن أعرّف بنفسي. بحثت عن كلمات مناسبة، انتبهت في الوقت نفسه إلى شكلي غير المناسب جدا. «بأي طريقة يمكن شرح هذه الظروف؟» خطرت بذهني بعض الجمل بسرعة البرق. لكنها لم تسعفني.

أردت أن أقول : «انظري يا أمي، هذا هو ابنك المدلل!» لا، لم تكن مناسبة. أو: «خالتي العزيزة، هل تتذكرينني؟».

فجأة خطر ببالي هنا أن الوقت ضيق ويجب أن أفعل شيئا.

رأيت نفسي غبيا لا حول لي ولا قوة، متحيرا، عاجزا عن فعل أي شيء والوقت يداهمني بسرعة وسوف افتقدهما. شعرت بالخوف والهلع العميق. هب نسيم بارد أجهل مصدره. كان الوقت ضيقا. ثم حدث ما لم يكن من المفروض أن يحدث. استيقظت من النوم.

جلست على السرير. كانت حالي مزرية. شعرت بمرارة وجفاف في فمي. لكن التوتر الذي كان قد شلني أثناء النوم قد زال في الصحوة. مع أني لم أستطع مواصلة النوم. حاولت، إلا أن عيناي لم تذوقا النوم.

بعد فترة، وفي الضوء الخافت للغرفة وقعت عيناي على الساعة الجدارية. مرت نصف ساعة على الثامنة! قفزت من

السرير. ذهبت إلى المطبخ. جهزّت الفطور، حلقت ذقني. ارتديت ملابسي. تناولت الفطور واقفا وخرجت من البيت.

انتظرت قليلا في موقف الباص.عندما وصل الباص كان يعج بالركاب، الركاب الذين استقلوا الباص في أول محطة، كنت مضطرا للوقوف. أمسكت العمود الذي يتوسط الباص ووقفت. إلى حين نجتاز كل هذا الطريق الطويل تكون المكتبات قد فتحت أبوابها. أقتني الكتاب، أتبضع في طريقي ثم أعود إلى البيت.

كان طريق «دماوند» الطويل خاليا. استغربت من هذا الوضع. في مثل هذا اليوم وهذه الساعة، وفي آخر يوم من السنة وفي ساعات الصباح الأولى يجب أن تكون المدينة مزدحمة.

هذا يوم آخر الأعمال وآخر المشتريات وآخر المواعيد.

كل شيء يجب أن يجري بالتمام والكمال في هذا اليوم. ويلزم أن تنفذ الأعمال بالشكل الصحيح والمطلوب والجيد، ويتم وضع كل شيء في موضعه.

المشتريات غير المناسبة يتم استرجاعها : الأحذية الضيقة، القمصان القصيرة...

الملابس ذات الألوان الحمراء الصارخة، وذات الألوان الفاقعة التي تصدم البصر... يعيدونها ويفاصلون حولها. يقارنونها ثم ينخدعون ثانية. البائعون يقسمون آلاف المرات، تتورم الأوردة في أعناقهم وتحمرّ وجوههم، يفقدهم الغضب صوابهم، يتقمصون شكل البائس المشرّد... لكنهم فرحون في أعماق قلبهم... وفي المساء يعودون إلى بيوتهم مسرورين وهذا هو معنى الكسب.

في مكان ما، في أطراف منطقة «بيج شميران» توقف الباص، نزل أحد الركاب وركب آخرون. الراكبون حديثا كانوا يحملون معهم عبير المطر والرطوبة.

نحن الواقفون ازداد اقترابنا من بعض. حاولت إيصال نفسي إلى ذلك الكرسي الفارغ. امرأة تحتضن طفلها ظهرت أمامي. سمحت لها بالجلوس. أبعدت عدة كراسي إلى الوراء.

في هذه الأيام، الكل مضطرب ويشعر بضيق الوقت. يرهق الناس أنفسهم إلى حد يفقدون معه طعم الأيام الآتية ونكهتها. كنت أفكر أنه في مساء ذلك اليوم، أي تلك الليلة التي - كما يقولون - يحضر الموتى إلى عائلاتهم ويأتون إلى بيوتهم.

البيوت التي تجملت، والزجاج الذي ازداد لمعانا، والمنازل التي تعطرت بالأزهار والحلويات والفواكه الطازجة الملونة والمصابيح المنيرة... ينظر هؤلاء، ينظرون من الأعالي ولما يرون كل شيء على ما يرام، يرجعون فرحين وراضين حتى يحين العام المقبل.

كانت نظراتي صوب الشارع ولكن ذهني في مكان آخر. تذكرت بيتي الذي لم يكن مهيئا إطلاقا لمثل هذا اللقاء المسائي للأرواح. زوجتي تعاني من وسواس عجيب إزاء هذه الليلة. لكني أستطيع أن أحفظ المقصورة الملكية الصغيرة بشكل مرتب مع أني أحب النظام والنظافة كثيرا، لكني لا أستطيع إيجادها بنفسي.

أمس اتصل بي أحد الأقرباء. لا أعرف كيف حصل على رقم هاتف بيتي. عرّف بنفسه وقال إن بنت عمتنا المشتركة السيدة فلانة قد توفيت.

استغرق فترة من الزمن حتى استطاع أن يذكرني بها. استغربت كثيرا حينما سمعت بأن هذه المرأة قد وافاها الأجل في دار العجزة. تذكرت أني في حوالي الثلاثين من عمري كنت أنوي الزواج بها. لكن واجهتنا عدة عوائق ولم يكتب لنا النجاح. ثم سمعت بأن تاجرا من «تبريز» قد حل محلي. وانقطعت أخبارها عني نهائيا بعد ذلك.

الآن كان هذا الرجل يريد - بإلحاح - أن أذهب وأشارك في مراسم تأبينها. وكان قد أخبر كل من استطاع الاتصال به بهذا الموضوع. كان قد دعا الجميع إلى مطعم وقال: «عدوني بأنكم ستشاركون... لا تدخروا وسعا في التعبير عن هذا التقدير الأخير... تذكروا الماضي... تذكروا الأيام الحلوة... عدوني بأنكم لن تنسوا!...».

- والآن أين هذا المطعم؟

زودني بعنوان مطعم فخم خلف «باغ سبهسالار». «نتناول الغداء هناك ثم نشارك في مجلس التأبين في مسجد صفي علي شاه لمدة دقائق... هذا كل شيء!».

وكانوا قد تكلفوا ببقية الأعمال: تسلموا الجنازة من دار العجزة وقاموا بواجب التشييع والغسل والصلاة والدفن. هذه المشاركة كانت تكلفني الكثير من العناء. بسبب بعد المسافة، ولأني لم أشارك في مثل هذه المجالس منذ سنوات. هذا الحديث ذكرني فقط بهيئة الشابة «خجسته عارفي». لكن تلك الأيام قد تغيرت لا محالة. واستبعد أن يكون قد تبقى شيء يذكرمن تلك البنت الممشوقة القوام، التي كنت

أعـرفـهـا، والتي كـانت تـخطو فـوق الـسـحـاب فـي دار الـعـجـزة بمنطقة «كهريزك» النائية.

كنت مشدوها بحيث إني نزلت في موقف «كالج». حينما وطأت قدماي أسفلت الشارع أيقنت بأني تسرعت في النزول من الباص وعلي أن أُكمل الطريق مشيا. فضلا عن ذلك فإن قطرات المطر بدأت تهطل. رفعت ياقة معطفي وواصلت السير. وفي هذه اللحظة وضعت يدي في جيب معطفي. حينما كانت رؤوس أصابعي تدور في الفضاء الخالي للجيب...! أحسست بأن الأوراق النقدية ليست في محلها! بحثت عنها في جيوبي الأخرى فلم أجدها!... كنت قد جمعت هذه النقود لشراء المجلد الخامس من الموسوعة التي ذكرتها سابقا وتسلمتها من البنك بالأمس. ومن فرط غبائي وضعت النقود في الجيب الواسع للمعطف بينما كنت مضطرا لرفع يدي طوال الطريق في الباص والتمسك بعموده، وأن أتحمل ضغط الناس المجهولين وسط الزحام. «ماذا علي أن أفعل الآن؟». فكرت في أن أعود إلى البيت. ولكن بعد مدة من السير خائبا من دون هدف خطرت ببالي فكرة جديدة. أذهب إلى المكتبة وأشرح الأمر للسيد أحمدي. سوف يحتفظ لي بالكتاب عند ذلك سأعود له بعد العطلة، هذا الأمر أفضل بكثير. «لا يجب البكاء من أجل الحليب المسكوب».

مشيت باتجاه المكتبات. لماذا لم يزدحم الشارع كما هي العادة لحد الآن؟

عند تقاطع شارع أبوريحان البيروني انعطفت إلى الجهة اليسرى. في مثل هذه الحالة الطارئة بإمكاني مشاهدة الكتب من خلف زجاج المعارض وفتحات الأبواب الحديدية.

ما زالت المحلات مغلقة. لا أدري ماذا حصل، لم أجد مكتبة واحدة مفتوحة، وهذا لم يكن أمرا عاديا على الإطلاق. «صحيح أن اليوم عطلة رسمية... يوم تأميم النفط، والدوائر الحكومية معطلة، لكن المحلات تفتح أبوابها عادة. معظمَ أعمال التسوق تتم في هذا اليوم...».

في ذلك الهواء البارد والممطر كنت أمشي مسرع الخطى وأفكر في المطعم الواقع خلف «باغ سبهسالار» وإذا بشخص يقول: «السلام عليكم!».

سلّم علي بلحن عذب وبحرارة، وقبل أن أستوعب الوضع احتضنتني ذراعان خفيفتان ونشيطتان وقبّل وجهي. حينما ابتعد عني عرفته، إنه ابن أخي: «في هذا الصباح الباكر؟».

بيته يقع في تلك المنطقة. أخذ يمشي معي. جاء مشيا حتى شارع تخت جمشيد، ليشتري بعض الحاجيات. لم أكن قد رأيته منذ عدة سنوات، كان قد أصبح رجلا.

– كنت أبحث عنك في السماء ووجدتك على الأرض!

تحدثت عن شراء الكتب ولكني أخفيت موضوع فقداني للنقود. اشتد هطول المطر. ذهبنا لنختبئ تحت سقف. تجاذبنا أطراف الحديث حول كل شاردة وواردة. بدأت المكتبات تفتح أبوابها. ابن أخي يتمتع برحابة صدر ودم خفيف. خرجنا من تحت السقف لنعبر من تحت مظلات المحلات ونقي أنفسنا من المطر. تذكرت أني حينما أردت شد رباط حذائي في الصباح نسيت ساعتي على رفوف غرفة الطابق الثاني وهذا ليس القصة كلها. حينما أخبرني ابن أخي بالوقت المضبوط والدقيق أدركت ماذا

حصل. في الصباح الباكر بعدما نهضت من النوم، أو في تلك الرؤيا، أو ذلك الكابوس، أو أي شيء آخر، كنت مضطربا إلى حد أني في جو الغرفة المعتم قرأت الساعة الجدارية بشكل خاطئ، وبدأت يومي مبكرا بساعتين، وكل الأحداث نشأت من هنا. وكان صديقي بائع الكتب قد ذهب إلى شيراز لقضاء العطلة ومن كان يحل مكانه لم يكن يعرفني. اتفقنا على موعد غير دقيق وخرجت من المحل. كان في جيبي بعض النقود غير الكافية لاقتناء أي كتاب، ولم أعتد على ترك المكتبة صفر اليدين. واصلت المسير منزعجا ومتأثرا نحو المشرق باتجاه الشمس لو أنها تظهر من خلف السحاب. بعد فترة قليلة واجهت لوحة إعلانية عمودية من تلك اللوحات المصنوعة من ورق الكرتون، التي تدعو المارة إلى مشاهدة النسخ الخطية النادرة في مكتبة تقع في الطوابق العليا. صعدت لمشاهدة المخطوطات لا إراديا. كانت في الطابق الرابع. تعبت وأصبت بالإعياء من صعود كل هذه السلالم الضيقة والقذرة حتى وصلت إلى العنوان. الكنوز التي تحدثت عنها اللوحة الإعلانية كانت عبارة عن غرفة أفرغت فيها أجولة من الكتب على الأرض، القديم والجديد، المفيد والتافه، مكدس على بعضه. كنت أبحث في هذا التل العالي من الكتب دون هدف معين. ولكن فجأة حصل أمر جيد. عثرت على عدد قديم ومتهرئ من مجلة «اللسان». حينما تصفحت المجلة رأيت بدهشة أنه العدد الذي كنت أبحث عنه منذ سنوات. أحد أقاربي المقربين في تلك الفترة كتب فيه مقالا قصيرا عن البستولوجي، وكانت لديه قصيدة في هذا العدد. كانت مصادفة عجيبة وممتعة، حيث إنني في تلك

السنوات كنت قد طلبت مرات عدة من قريبي أن يبعث لي نسخة من هذه المجلة لكن لم تتح له فرصة. ثم توفي هذا القريب ونسي الموضوع. الآن وبهذه السهولة أجد هذا العدد النادر في متناول يدي.

اشتريته بعشرة أضعاف سعره الأصلي. كنت أواصل البحث في الكتب حين ارتفع أذان مسجد الجامعة. شعرت بالجوع ووجدت أن وقتا طويلا قد مر.

ليس هناك أفضل من المطالعة لقضاء الوقت. حينما تطالع الكتاب فإن نهر زمانك، تلك الروافد الصغيرة للزمان والخاصة بحياتك تتسارع. الشعور بالجوع ذكرني مرة أخرى بدعوة يوم أمس. دون أن تكون لي رغبة في هذا العمل، وفقط من أجل تمضية الوقت قررت أن أواصل السير مشيا حتى خلف باغ سبهسالار. كنت فضوليا أكثر من أن أكون متأثرا بالحدث. كنت أريد أن أعرف لماذا هذه القريبة الثرية (أحد موانع زواجنا المهمة كان فقري في تلك الفترة)، لقيت حتفها في مأوى العجزة.

كان قد مضى وقت طويل على الغداء حين وصلت إلى مطعم «النرجسة الصفراء». من خلف ضباب الشارع الخفيف لمحت غصنا من زهرة النرجس الصفراء يمر بسرعة من لوحة النيون الزرقاء الداكنة للمطعم، يطوف هذه اللوحة المربعة الكبيرة ليعود إلى محله الأول وينطفئ ثم يستأنف دورته مسرعا من جديد.

كانوا بانتظاري. لم أتعرف على أغلبيتهم في اللحظات الأولى. الكل قد تغيرت ملامحهم. اصطبغ شعر أغلبهم باللون الرمادي. في المطعم المزدحم فهمت أن ليس كل الحضور هم من جماعتنا. أن طاولتنا في الحقيقة كانت تغطي ركنا صغيرا من المطعم.

جلسنا خلف طاولة فارغة على كراسي معدنية غير مريحة في هواء بارد ينظر كل منا إلى الآخر ونتبادل الابتسامات. بعد هيجان لحظة اللقاء الأولى، وبعد تبادل القبلات والعناق الحار والمجاملات الودية لم تبق أشياء كثيرة للتحدث عنها. على أي حال دارت أحاديث ساخنة، حول الحرب، الأحداث اليومية، الطقس، البرد المفاجئ.

كان الطعام سيئا. والشاي الذي أعقبه كان سيئا أيضا، وله نكهة المعدن المحترق. الشارع كان رطبا ضبابيا، وكان مزدحما خلال الساعات الأخيرة من العام المنصرم، كان يفصله عنا عازل زجاجي.

ضجيج الزبائن الغرباء، الهواء البارد، والقطط القذرة التي تصول وتجول تحت الطاولات أفقدتني شهيتي.

* * *

بعد تناول الطعام، خرجنا نمشي باتجاه ميدان بهارستان. كان الضباب قد انقشع وسطعت الشمس بهدوء وصَعَّدت البخار من سطح أكشاك بائعي الصحف. انعطفنا نحو زقاق «خانقاه» الطويل.

في القاعة المخصصة للرجال لم يكن أحد سوانا، وكانت مراسم التأبين قصيرة. الواعظ أطال عظته إلى نصف ساعة بشق الأنفس. حتى أنه ذكر اسم المتوفاة خطأ. كأن الجميع كان يريد الانطلاق نحو الشارع، إلى الزحام وحركة الحياة النابضة ونسيان المرحومة خجسته عارفي.

سبحت في بحر الخيال. انطلقت إلى صيف الخطوبة. ذهبت إلى بستان عمتي العزيزة. تناسيت خجلي وتمالكت أعصابي وذهبت لإلقاء التحية على خجسته عارفي، التي كنت أعشقها.

لم أعشقها فحسب بل كنت أعشق كل ما يدور حولها. كنت مغرما بحديقة ورود الآس، مغرما بكراسي الخيزران، أعشق «غارليبالدي» التي تقرأ مذكراتها، مغرما بعمتي العزيزة، مغرما بالملابس الصيفية النسائية في ذلك الزمن.

بعد الوداع استقللت سيارة الأجرة للذهاب إلى المنزل. كانت السماء ملبدة بالغيوم الكثيفة والثلوج بدأت تندف بشكل خفيف. نزلت في أول شارعنا. حبات ثلج سمجة اخترقت معطفي وحطت على جلد رقبتي. سارعت الخطى، وتقريبا اجتزت الزقاق ركضا. فتحت الباب بالمفتاح ودخلت إلى البيت. مرة أخرى عاودت الاتصال بالورشة فوعدوني بالحضور الأكيد عصرا.

حينما تأكدت من وعدهم خلعت ملابسي وتدثرت باللحاف، مقالة البستولوجي جلبت النعاس لعيوني.

نهضت متأخرا عند العصر بسبب ضجيج الزقاق. جلست على فراش النوم وكنت أبحث برؤوس أصابع قدمي عن نعالي على السجاد حينما رأيت خطا رفيعا مضيئا بلون أخضر فسفوري مر بشكل مشرق وسريع من خلف النافذة بلمح البصر. كنت أسمع صوت الأطفال يصرخون من البهجة والفرح وأحدهم كان يردد ترانيم قديمة بلحن نسائي وبصوت عالٍ. اقتربت من النافذة وأزحت الستائر.

كان الزقاق يعج بالصخب، وكانت ألسنة النار وخطوط الألعاب الخضراء والصفراء تملأ الزقاق نورا ودخانا. ذهبت لأرى التقويم(*).

(*) طقوس تراثية قديمة لا تزال تمارس إلى يومنا هذا، يقوم خلالها الناس في آخر ليلة أربعاء من السنة الهجرية الشمسية بجمع الحطب وإشعال النيران والقفز عليها اعتقادا منهم بأن ألسنة النار تخلصهم من عيون الحساد (المترجم).

إنه عام استثنائي. آخر يوم من العام الفائت، كان ليلة آخر أربعاء في السنة.

انطفأت واحدة من الألعاب النارية في سماء بيتنا لتقع في بحرة الماء. أغلقت الستائر وعدت. مازلت بانتظار مصلّح الورشة. ماذا لو أجل عمله حتى المساء؟ ماذا لو صرف النظر أساسا؟ ظننت أنه يريد أن يتأخر ليحصل على العيدية مع أجرته. إنهم يتقنون مثل هذه الحيل. لا مانع لدي من ذلك. كنت مستعدا لأن أدفع ما يريد لكي أشعر بالدفء في مثل هذه الليلة. ذهبت إلى الممر لكي اتصل وأذكّره بالموعد وإذا بأحد يطرق الباب. شخص يطرق الباب بشيء معدني، عملة معدنية أو مفتاح أو طرف قلم.استغربت لذلك لأن صاحب الورشة يعرف مكان الجرس خلف الأغصان الملتوية الجافة.
أثناء نزولي من السلالم كنت أشكره في قلبي وأردد بصوت عال:

«جئتُ... جئتُ يا سيدي، أشكرك على أنك أخيرا تفضلت و...».

حينما فتحت الباب تسمرت وانسحبت إلى الوراء. بين الضياء المتوهج للنيران المشتعلة في الزقاق وجدت ابن أخي واقفا. هل سبق أن أعطيته عنوان بيتي حينما كنا واقفين معا تحت سقف سوق بائعي الكتب؟

كان واقفا بكل وسامته وأناقته وبهائه وقال مبتسما: «جئت لاصطحبك إلى بيتنا!» استغربت من كلامه! «أوه، كيف؟ وهل...؟» ثم دعوته للصعود. قلت:

«هذا لا يمكن. أنا لست مستعدا...».

كان لدي الكثير من الأعذار والحجج. لكنه دخل إلى فناء البيت: «لا أقبل أي عذر يا عمي العزيز!» بدت حجة انتظاري لمصلح الورشة مناسبة، فتمسكت بها.

«دع هذا الحديث جانبا. أنا عندي مصلّح ماهر. أعدك بأن أحضره هنا غدا في الصباح الباكر...».

- ولكن الآن فترة الأعياد، والجميع في عطلة رأس السنة... منذ عصر اليوم تقريبا توقف الجميع عن العمل.

قال: «لا تأبه بذلك. ضع الأمر على عاتقي. قلت لك إنني أعرف هذا الرجل ولا يهتم بالعيد وغير العيد. ارتد ملابسك قبل أن يداهمنا الوقت!».

لعل برودة البيت ساهمت في ضعف إرادتي. منذ سنوات لم تطأ قدمي أي حفلة. بقي هو إلى جانب البحرة الجافة، داخل الفناء، وصعدت أنا. كنت أبحث عن ملابس مناسبة. كان عندي قميص نظيف ومكوي. ارتديت أفضل ملابسي. ألقيت نظرة في المرآة. لحسن الحظ كنت قد حلقت ذقني صباح اليوم نفسه. للحظة واحدة خطر ببالي أن أقاوم. فتحت الشباك. اتجه هو نحو الشباك.

- هل حضوري ضروري حقا؟ يجب أن آتي قطعا؟

ضحك: «وهل الآن وقت طرح هذا السؤال؟»، هز رأسه ونظر إلي.

لا فائدة من ذلك. أغلقت الشباك. نزلت من السلم. اجتزنا فناء البيت معا. قفلت باب البيت. كان الزقاق مملوءا بالدخان، ورائحة الحطب والأوراق المحروقة. كانوا قد أشعلوا النار في صناديق الفواكه الخشبية. كانت رائحة الأرز المطبوخ وأنواع الحساء المعدة لليلة العيد تملأ الجو.

كان ابن أخي قد ركن السيارة في بداية الزقاق. كانت مركبة قديمة وعجيبة. كبيرة أكثر من المعتاد. من سيارات الصالون الواسعة. ولكنها مجددة بالكامل. فيها كراسي مخملية خضراء

واسعة ومريحة. استغربت من أن مثل هذه المركبات مازالت موجودة. جلست إلى جانبه وانطلقنا.

في مثل هذه الساعة كانت الشوارع فارغة تماما. في بعض الأزقة كان القليل من ألسنة النار لايزال مشتعلا، ولكن الناس كانوا قد انصرفوا. في بعض الأماكن لم يبق سوى الرماد الأسود المحترق، الذي يتناثر في الهواء العاصف. السماء مكفهرة وعابسة لكن المطر كان قد توقف.

* * *

كان بيته في شارع «مشتاق»، في أطراف سوق المكتبات. سبق أن أخبرني بذلك. في فترة ما كنت أعرف المدينة ككف يدي. في هذا الشطر من المدينة هناك بيوت فارهة ذات طراز معماري يعود إلى العقد الأول أو الثاني من القرن، لحقبة المعهد العالي. بيوت ذات فناء كبير مزين بالأزهار، الجدران مكسوة بالآجر القرمزي، شبابيك كبيرة وفتحات زجاجية صغيرة مع سقف قرميدي أحمر. تبني السنونو أعشاشها تحت السقف القرميدي. خلال أيام الربيع تجد السنونو تحوم في سماء هذه المنطقة عصرا.

كان بيته من ذلك الطراز لكنه قديم ومتهرئ. سلكنا شارع «أبو ريحان». بيته كان يقع في نهاية زقاق ضيق قبل التقاطع. في جو بارد عبرنا فناء الدار وصعدنا السلم حيث فتح الباب. دخلنا إلى ممر مضيء ودافئ. انعطف هو إلى ممر ضيق. سمعت صوت الماء. قال لي اصعد أنت. سآتي أنا بعد دقائق. لم أجد أحدا في الممر ولكن كان هناك همس مسموع في الأعلى. صعدت على سلالم مفروشة بسجاد قديم. كانت هناك مزهريات مملوءة

بالأزهار على طرفي السلالم، من تلك الأزهار التي تنمو أيام عيد (النيروز)(*) في مطلع الربيع وتضم تشكيلة واسعة من الألوان الزرقاء والبنفسجية والأرجوانية ولايزيد عمرها على أسبوعين.

في نهاية السلالم هناك مرآة طويلة مملوءة بالنقوش. لمحت فيها للحظة ظل ملابس نسائية زرقاء اللون. ثم سمعت صوتا، ربما كان صوت صاحبة تلك الملابس يقول: تفضل... من هذا الجانب، نحن بانتظارك.

خلافا لعادتي كنت أنتبه للتفاصيل وأقارن كل شيء بمحتويات بيتي ويبدو لي بأن بيتي كان جافا وفارغا أكثر من اللازم لليلة كهذه.

في الطابق العلوي وصلنا إلى صالة مربعة صغيرة. كان يوجد هناك كل ما يريح البصر. عدد من المزهريات، مشعل صغير يتصاعد منه دخان خفيف يضمحل في الهواء، رفوف الكتب تغطي الجدران. كانت الرفوف تصل إلى السقف وعلى الجانب الأيمن كان يفصلها عن الحائط المقابل ممر ضيق. لا أدري إلى أين يؤدي هذا الممر، ربما إلى غرف النوم أو المستودع.

كان باب صالة الضيوف مفتوحا. دخلت إلى الغرفة حاملا معي عبق الممر. كنت أعاني دوما من الحضور في المجالس. لاسيما في العام الحالي حيث عشت وحيدا. كنت أتوقع وصول مضيفي لكنه لم يأت بعد.

كانت الغرفة مضيئة جدا ودافئة جدا وممتعة. كان الطعام جاهزا. وكان الضيوف جالسين حول طاولة كبيرة. ياله من بذخ وإسراف!

(*) السنة الفارسية التي تبدأ في فصل الربيع (المترجم).

كانوا قد وضعوا فوق المائدة كل ما كنت أتصوره. بطة كبيرة محمرة، أنواع المأكولات السمكية، أرغفة الخبز التي لم أرها منذ سنوات، مثل رغيف خبز الزنجبيل المدور الخاص بأيام العيد، أو الأرغفة المثلثة المحشوة بالخضار والبصل المقلي والفلفل، لحم الحمام، المأكولات ذات النكهات اللذيذة التي لم أذق طعمها منذ سنوات، من فرط تناولي لأكلات عديمة المذاق كنت أطبخها بيدي.

لكني كنت منزعجا. كنت دائما أتناول الطعام في غرفتي وحيدا. أمشي عادة خلال تناول الطعام وأطالع شيئا ما. والآن أمام كل هذه العيون أشعر بعذاب. لكنهم بعد تلك اللحظات الأولى لم يكترثوا بي وأنا أيضا لم أنظر إليهم. كنت أتظاهر بتناول الطعام وأنتظر وصول ابن أخي. وهنا وقعت حادثة أخرى. نهض أحد الضيوف من الجانب الآخر للطاولة، قبالتي وسكب لي عصيرا من قدح كبير. كان العصير يلمع تحت الضوء القوي للمصابيح. أحسست بالعطش أثناء صبّه وشربت الكأس حتى آخرها جرعة جرعة.

كل شيء حدث بعد هذه الواقعة. أولا لم أشعر بالحرج من جلوسي وحدي بين هؤلاء الجمع، حتى أني نسيت ابن أخي. الأهم من كل ذلك هو أني لم أجرؤ على أن أرفع رأسي وألقي نظرة على كل واحد من هؤلاء فحسب، بل لم أُفاجأ أو أشعر بالخوف من مشاهدتهم.

بدأت أولا من قبالتي. رأيت والدي بشعره الرمادي نسبيا حول جبينه وملابسه الغامقة المعتادة. نظرنا إلى بعضنا ولكني لم ألمح أثرا لتعرفه عليّ في نظرته. كان يتناول الطعام ويبدو أنه كان

يحكي قصة انقطعت بدخولي. كان صوته ناعما وشابا. على يساره رأيت السيد شهاب، وهو الذي حبس نفسه عشرين عاما في بيت أجداده النائي ليكتب كتابا. كان معلم المدرسة المحترم قد وجّه إهانة لشهاب - وكان من أقاربه - حين قال له إنه عاجز عن فعل أي شيء.السيد شهاب يأخذ نسخة من كتابه المخطوط باليد إلى المدينة ويذهب إلى بيت المدرس ليقدمها له. كانوا قد قدّموا له العشاء وفرشوا له فرشة النوم في المكتبة. من أجل أن يخلد إلى النوم يأخذ السيد شهاب كتابا من على الرف ويفتحه. كل ما كان قد كتبه خلال العقدين يجده مكتوبا في ذلك الكتاب بحذافيره. هذه القصة المؤلمة قد رويت عدة مرات.

كان شهاب قد بعثر الكتب كالمجانين. لم تكن لحياته قيمة بعد ذلك. خطر بباله أن يترك كل شيء في الصباح ويغادر قبل أن يستيقظ الآخرون ولا يلتفت وراءه بعد ذلك. ثم يقع في يده كتاب آخر كان قد كتب على جانبه كلمتي «أمل التحليق». يفتح الكتاب. كان صندوقا مصنوعا على هيئة كتاب.

داخل الصندوق مُلأ بقطع صفراء كاملة ومقطعة من الحشيش. سكب السيد شهاب كأس الماء من النافذة حتى نصفها ووضع قطعة حشيش في الماء. حينما يكسرون باب المكتبة قبيل ظهر اليوم التالي كانت سبابة الجسد قد أصبحت مرة وبنية اللون.

بعده رأيت صفا من السيدات ولم استغرب أبدا حينما علمت بأن السيدة التي كانت ترتدي ثوبا أزرق غامقا - كلون أول الليل - هي خالتي العزيزة، وبعدها «خجسته عارفي» التي احتفلنا

بذكراها ظهيرة اليوم نفسه في مطعم «النرجسة الصفراء» الرديء. وكان هناك أشخاص آخرون، البعض لا أعرفهم والبعض الآخر أعرفهم جيدا، والدتي كانت هناك أيضا. عندها لم أُفاجأ ولم أُصدم، حتى عندما سمعتها تقول هذه الجملة الغريبة لمن تجلس بجانبها: «نعم، قبل أن أموت أثناء الوضع...» لم أكن أرغب أن أعرّف بنفسي. الضيف نفسه صب لي كأسا أخرى من العصير، كنت أمضغ قطع الأعشاب الصغيرة تحت أسناني فيتعطر فمي. لا أدري مما صنعوا هذا العصير، لكن نكهته لم تكن غريبة عليّ.

مرت ساعات من المساء حين جاء الخادم ليدعونا جميعا إلى غرفة أخرى. هناك وضعوا الشاي والقهوة والحلويات والفواكه على الطاولة. كنت أرى تلك الغرفة من خلف الستائر المشبكة. جئت إلى الصالة... كنت مسرورا لأنه كان بإمكاني أن أقضي بقية الليل وحيدا. كنت تقريبا قد نسيت ابن أخي. كنت ألقي نظرة على الكتب واحد تلو الآخر وأقرأ الكلمة المكتوبة على جوانبها.

ألقيت نظرة على ما حولي. حينما لم أجد أحدا هناك عبرت من الممر الضيق المجاور للرفوف. خلف الجدار كان هناك فناء صغير آخر يضم عدة كراسي مريحة وسلما معدنيا عريضا وطاولة صغيرة.

هنا أيضا كانت الجدران ممتلئة بأرفف الكتب حتى السقف. في أعلى الجدار على الجهة اليمنى مني، بالقرب من السقف، كانت هناك فتحة صغيرة باتجاه الخارج للتهوية، وفي ضوء المصباح كانت تجعل الليل يبدو أكثر سوادا في ضوء المصباح.

تناهى إلى سمعي من غرفة الضيوف صوت، شخص ما كان ينظم آلته الموسيقية، البعض يضحك. صوت غامض لأحاديث ثنائية. لم يأت أحد للبحث عني. بدأت التفرج. رأيت بعض الأشياء الفريدة. بعض مخطوطات نادرة. كنت أتفرج عليها مبهورا. لا أعلم كم مكثت هناك. كنت أستعين بالسلالم لمشاهدة الكتب البعيدة عن اليد والعين. فجأة شعرت برغبة جامحة في الصعود على السلالم وأن أنظر إلى الخارج من فتحة التهوية. هذه النزوة بدت برأيي في البداية مثيرة للسخرية.

«في الخارج لا يوجد سوى أسطح المنازل المبللة في شارع مشتاق والعواصف الليلية والهواء البارد»، لكنني لم أستطع أن أمنع نفسي.

صرفت النظر عن مشاهدة الكتب. نقلت السلالم لأسندها على الجدار الأيمن وصعدت بهدوء. على السلم الأخير، أدخلت رأسي إلى فتحة التهوية لأنظر إلى الخارج. كانت السحب متناثرة والقمر كان يمارس لعبة التخفي والظهور. في تلك اللحظة حينما كنت أتطلع إلى الخارج كان كل شيء منيرا. في الأسفل، حيث تجلى كل شيء أمامي تحت ضوء القمر الباهر، لم أر سوى صحراء بتلال متعرجة ومنخفضة تبللت وغدت غامقة من أمطار النهار. إلى الأمام، بالقرب من بيت الضيافة نفسه رأيت نهيرا صغيرا وبجوار النهير كانت شجرة سرو تتمايل أغصانها في هواء الليل. تحت الشجرة رأيت عجوزا جالسا. عجوزا بملابس متهرئة يشبه الهنود يلف رقبته بشال قديم.

في الجهة الأخرى، تحت شجرة السرو كانت تقف فتاة شابة بيدها غصن زهرة. ثم انحنت وقدمت الزهرة للعجوز(*). في البداية ظننت ذلك حلما أو وهما. لكني كنت صاحيا تماما، ولا أعاني الأوهام والخيال. حتى أني ميّزت لون الزهرة بسهولة في شعاع القمر، كان لونها أزرق داكنا وزهرة الزنبق نفسها، كأنني ألمس البشرة الشابة والطرية لهذه الفتاة بيدي. كل ذلك كان خلال لحظة واحدة. ثم اختفى القمر تحت السحاب وكل شيء أصبح مظلما، ظلام أنصاف الليالي الدامس، وانتابني الهلع فأوصلت نفسي إلى أسفل السلالم.

حينما نزلت لم أمكث في ذلك البيت. بنعومة وهدوء أوصلت نفسي كالقطة إلى الطابق الاول. لم يكن أحد هناك. فتحت باب الصالة بهدوء، وبينما كنت أحاول بكل أعصابي المشدودة ألا يثير حذائي أي صوت على بلاط الفناء خرجت من البيت. كنت أرتجف وكانت أسناني تصطك ببعضها، وكان صوت اصطكاكها وأصوات والدي وجدي والسيد شهاب الدين والخالة العزيزة بثيابها الزرقاء الغامقة الفاخرة، والدتي بعينها الحوراء وشعرها الأسود الكثيف وصوت خجسته عارفي كلها كانت ترن في أذني.

كنت أمشي مسرعا. اجتزت شارع أبو ريحان، ثم اتجهت إلى الشرق... هناك موقف للباصات. ذهبت للجلوس على كرسي تحت المظلة. تذكرت بأنه في هذا الوقت من الليل لن أحصل على أي وسيلة نقل تأخذني إلى البيت.

تبعثرت الغيوم أكثر من ذي قبل والبدر في الليلة الرابعة عشرة يتلألأ وسط سماء صافية شفافة. فكرت ماذا عليّ أن أفعل.

(*) الصورة نفسها تتكرر في «البومة العمياء». انظر «البومة العمياء» تأليف صادق هدايت وتعريب الدكتورة زبيدة أشكناني. دار قرطاس. الكويت (المترجم).

الأفضل هو أن أعود إلى بيتي. أنام الليلة ملء جفني عسى أن أتخلص من هذه الكوابيس العجيبة. فقط في بيتي، في تلك الغرفة المألوفة - على الرغم من برودتها - كان بإمكاني أن أتخلص من أحداث النهار ووقائع هذه الليلة المزعجة التي أنهكتني. كان عليّ أن أخلد إلى النوم حتى أتمكن فيما بعد من أن أفكر بكل شيء بوضوح.

أنابيب المقعد المعدني الباردة والرطبة كانت قد أزعجتني. عظامي تجلدت من البرد. كنت أشعر ببرد قاس وكنت أرتجف. نهضت لكي أمشي قليلا لعلي أحس بالدفء. كنت أخطو ذهابا وإيابا. أذهب إلى تلك العمارة الفخمة المهدمة الكائنة بعد تقاطع شارع «فلسطين» ثم أعود أدراجي. لم يكن أحد في الشارع. المحلات كلها مقفلة. المباني المبللة والمظلمة تبدو في ضوء القمر كأشباح متجمدة يتلألأ نور القمر على زجاجها. لكن في إحدى المرات وفي أثناء رجوعي إلى حيث كنت لمحت وميض ضوء من بعيد. هذا الوميض ذكّرني دون أي مقدمات بحكاية كنت قد قرأتها أثناء طفولتي، حكاية قصيرة للتعريف بالله:

«في أحد الأيام يذهب مهدي خان عصرا مع والده إلى النزهة. يخرجان من المدينة. يعبران الحقول ويصلان إلى الصحراء. تغرب الشمس ويحل المساء. لم يكونا قد فكّرا في طريق العودة. يخاف الطفل ويلجأ إلى أحضان والده. كان الظلام دامسا إلى حد يحول دون أن يريا أمامهما. في هذا الأوان يلمحان وميضا بعيدا. الطفل يصرخ: والدي العزيز النور! النور! هناك شخص ما!... الوالد الذي أخفى سروره كما كان يخفي خشيته قال: صحيح يا عزيزي،

لابد أن يكون أحد هناك! لابد أن يكون أحد هناك».

الأنوار بدأت تقترب مني. رفعت يدي. قال الوالد لمهدي خان: «الآن بمجرد مشاهدتك لوميض ضوء واحد أيقنت بوجود شخص هناك، ألا تكفي كل هذه الأضواء العظيمة فوق رأسك لتذكرك بوجود شيء ما هناك؟».

ويجبر الطفل على رفع رأسه ليتطلع إلى السماء المزدانة بالنجوم النائية.

استوقفت إحدى سيارات الصيانة المتنقلة التي تدور في الشوارع الرئيسية لتصليح المركبات المعطلة أو مساعدتها على الوصول إلى ورش التصليح حيث كان السائق يريد الذهاب إلى منزله الكائن في منطقة «آب علي». كان قد تأخر عن موعده حيث لم يصل إلى بيته في وقت حلول السنة الجديدة وكان منزعجا لهذا السبب. جلست إلى جانبه. ألّفت قصة حتى لا أثير فضوله. استغرقنا في الحديث بحيث إننا اجتزنا الحي الذي أقطن فيه. طلبت منه أن يتوقف. ترجلت من السيارة واضطررت للعودة إلى الوراء بخطى ممتدة لمدة سبع أو ثماني دقائق. الهدوء يخيم على الزقاق والبيوت مظلمة، رائحة الحرائق التي كانت مشتعلة في مطلع الليل ما زالت متناثرة في أرجاء الزقاق. وكان الجليد قد ذاب على الرماد الأسود مما أدى إلى أن تجري جداول سوداء صغيرة على الأسفلت. كنت أمشي مسرعا وأعد نفسي بنوم عميق وطويل.

لكن حينما وصلت إلى بيتي تجمدت من دهشتي.كانت كل المصابيح في البيت مضاءة!

تذكرت جيدا أني حينما كنت أرتدي ملابسي، أخذت مفتاحي ونظارتي وتفحصت كل الأشياء في المطبخ، أطفأت المصابيح، واحدا واحدا. لم يكن الوقت مظلما كثيرا إلى الحد الذي أعجز فيه عن مشاهدة الأشياء أمامي. إذن ما معنى هذه المصابيح المضاءة؟ لعل شخصا أو أشخاصا كانوا في البيت؟ ولكن باب البيت كان مقفلا. قبل أن أفتح الباب ضغطت على الجرس لعلي أرى حركة ما .لكن شيئا لم يتحرك. الستائر الثقيلة معلقة كما كانت طوال السنوات الخمس عشرة المنصرمة.

لا شيء هناك. أدرت المفتاح بحذر ودخلت. الغريب أن باب ممر الطابق السفلي الذي تعودت أن أقفله، كان مقفلا. حينما اجتزت الممر الثاني شممت شذى عطر لطيف. فتحت باب البيت فلامس وجهي المتجمد دفء ممتع. ذلك العطر المنعش كان يملأ فضاء هذا المكان أيضا. ألقيت نظرة حائرة على ما حولي. سريري غير المرتب على الدوام كان قد ترتب. الكتب المبعثرة على الأرض، منضدة ومصفوفة على الأرفف. الأوراق محفوظة في الملفات، الأقلام والمساحات المستعملة كلها موضوعة في قدح نحاسي على الرف. لم يكن هذا هو البيت الذي تركته. كنت أنظر حولى بخشية وهلع.

في المزهرية الخالية على المنصة الفخمة رأيت بعض الأزهار الحمراء، الطرية، على الطاولة صحن من الحلويات وهناك صحن آخر قليل من الملبّس. مغلف كبير بأوراق ملونة موجود إلى جانب تلك الأشياء، وعلى المغلف مجموعتان من النقود الورقية الجديدة ملفوفة بشريط البنك الوطني. وقد كتب المبلغ

على كل مجموعة بالقلم الرصاص. كنت مرهقا تماما. جلست بملابسي على طرف سريري ورحت أفكر: «يا إلهي! ماذا دهاني اليوم؟»، في المحل الذي كنت أجلس فيه أدرت رأسي فرأيت المنصة الفخمة من زاوية أخرى. إلى جانب المغلف الكبير الملون لفت نظري شيء أبيض. نهضت من مكاني. ذهبت لأتمعن. كانت هناك ورقة ملاحظات مطوية:

«قمت برحلة عاجلة لعمل مهم. أنجزت عملي. لم آت في المساء كي لا أزعجك. كنت في بيت والد «آذر».لكني جئت اليوم لأراك وأهنئك بالعيد ولكي أودعك. وأردت أيضا أن آخذ شيئا من غرفتي في الطابق السفلي. لم تكن موجودا. لم تتعود أبدا على ترك البيت في مثل هذه الليلة! أين كنت ذاهبا؟ على أي حال، حينما وصلت إلى البيت رأيت شخصا يحمل حقيبة يقف بجوار الباب ويضغط على الجرس. يبدو أنه كان منتظرا منذ فترة، وكان على وشك الذهاب عندما رأيته. إنه الرجل الذي طلبت منه أن يأتي لإصلاح الأجهزة. دخلنا إلى البيت. ونصف ساعة بقائي تحولت إلى ساعتين، ولكن كان هذا من حسن حظي. كيف كنت تعيش في هذا البيت البارد يا والدي العزيز؟ بينما كان المصلح يعمل في غرفة المعدات كنت مشغولة بإعداد الشاي. رتبت غرفتك مهاراتي لا تتجاوز ما عملته. صعد المصلح إلى الأعلى وتناولنا الشاي معا وأصابني شيء من الدخان. دفعت له أجره وقدمت له العيدية. تذكر بأنه شغّل الماكينة وانتظر فترة حتى يتأكد من دورانها بشكل جيد. حينما غادرنا البيت كانت الغرف دافئة. ربما حين تعود لن يكون الماء قد سخن بعد. ولكن منذ صباح الغد

سيكون لديك قطعا ماء ساخن. تركت المصابيح مضاءة. هذا ما اعتادت أمي القيام به في ليلة العيد. هي، فضلا عن ذلك، كانت تشعل الشموع لكني لا أدري أين وضعتها. بحثت عنها فلم أجدها.

الأولاد بخير. آذر أيضا بخير وتبلغكم السلام. حاول أن تمر علينا بعد زحمة العيد وقبل أن يصبح الجو حارا جدا».

كانت النقود ضعف ما فقدته. أمي كانت قلقة دوما من أني أعجز عن توفير لقمة العيش من خلال قلمي لأني كنت أكره الأعمال البدنية. والآن هذه النقود تدل على الراحة وعلى أن أوضاعي على ما يرام.لم أفتح مغلف الهدايا. خلعت ملابسي وخلدت إلى النوم والمصابيح مضاءة على حالها. سمعت صياحا واضحا لديك من بعيد. كان الصباح قد أقبل.

* * *

كان الوقت قد تجاوز الظهر حينما استيقظت. كان الصمت المعتاد لأول يوم في السنة الجديدة يخيم على المدينة. شعرت بألم بسيط في أسناني، نهضت. أطفات المصابيح. ذهبت إلى المطبخ. صنعت الشاي وذهبت نحو الزهور. منذ مدة لم أشتم رائحة الزهور.



القصة الثالثة

«صورة فورية»

تأليف: منصورة شريف زاده



عادة أي صورة مرئية أو جملة أو أي حركة يمكن أن تشكل بالنسبة إليَّ نواة لكتابة القصة. من أجل أن أوضح قصدي بشكل أفضل أعتبر هذه القصة مثالا على ما أقول. تبدأ هذه القصة بصورتين: الأولى صورة طبيبة متوسطة العمر تعيش بالقرب من بيتنا، رأيتها ذات يوم وقت الغروب مريضة تحمل سلة، والأخرى صورة زوجها وهو جالس في سيارته وبجانبه امرأة شابة.

من أجل أن أكتب القصة أرسم بداية مخططا في ذهني ثم أبدأ في تشكيلها. بداية القصة هي أكثر ما يستغرق وقتي لأنها باعتقادي أهم مرحلة في بناء القصة. بعد ذلك أقوم بالتعرف على الشخصيات الأصلية وأحاول استبدال بها شخصيات قصصية. بقية الأحداث والشخصيات الفرعية يجري إعدادها لاحقا.

حيث إن كل المفاهيم الذهنية لا تنتقل إلي أثناء الكتابة، فأنا عادة أقوم بجمع بعض الملاحظات التي تساعدني عند القيام بالكتابة. بعد ذلك، وفي فرصة سانحة، غالبا تكون خلال منتصف الليل، أكتب القصة بأكملها. ولما أفرغ من كتابة القصة أضعها جانبا، ثم أعيد قرأتها مرة أخرى بعد فترة طويلة لأجل معالجة صعوباتها، ثم أقدمها لواحد أو اثنين من المختصين (أحد الذين يقرأون قصصي دائما هو زوجي عبدالحي شماسي، وهو أيضا كاتب) واستمع إلى آرائهما.

منصورة شريف زاده

«لماذا تأخر إلى هذا الحد...؟!».

تسمع صوت همس الأوراق الجافة. تحول نظراتها إلى الأطراف. أحد كناسي الحديقة كان يكنس الأوراق الصفراء بمكنسته ذات المقبض الطويل. مدت يدها إلى حقيبتها لتخرج صوف الحياكة الأصفر من حقيبتها. كانت تريد أن تبعثه إلى ابنتها «مجكان» قبل أن يبرد الطقس.

سمعت صوت صفارة إنذار سيارة الإسعاف من الشارع. استقامت في جلستها. نظرت إلى ساعتها. مضى على موعدهم نصف ساعة.

أصابعها كانت تؤلمها. فركتها لأنها كانت متورمة. لماذا كانت تقوم بكل هذه الحياكة؟ كانت ترى نفسها كالعنكبوت تقبع في زاوية الغرفة وتنسج خيوطها بسرعة، رمت الصوف بداخل حقيبتها وقالت لنفسها: ليت «مجكان» لم تطلب منهم أن يرسلوا إليها صورة ثنائية.

تنهدت من أعماق قلبها: «أبتهل إلى الله أن يكتب لها السعادة».

سمعت صوت سعلة فأدارت رأسها. رأت عجوزا يتمشى لخطوات متكأ على عصاه ثم توقف وأمعن النظر فيها. كان شعره الفضي يلمع تحت أشعة الشمس. قدم رأسه إلى الأمام قليلا. رتبت «فرنكيس» نفسها. سأل العجوز: هل لديك ساعة؟

نظرت فرنكيس إلى ساعتها وردت: الرابعة والنصف.

أخرج العجوز شيئا من جيبه. ساعة ذهبية مدورة مربوطة بسلسلة بصديريته. قال: سيدتي، إنها متوقفة.

رتبت فرنكيس حجابها وسحبت حقيبتها إلى الأمام. قام العجوز بتدوير ساعته ووضعها في جيبه وجلس على حافة المصطبة. سعل عدة سعلات متقطعة وقال: هل تعلمين أيتها السيدة أن هذا هو مكاننا الدائم.

- مكانكم؟

- نعم يا سيدتي... مع أحد أصدقائي... طبعا ليس من الأصدقاء القدامى حيث لم يبق منهم أحد... أي أني افتقدت أخبارهم... في هذه الحديقة وعلى هذه المصطبة تعرفنا على بعضنا.

رفعت «فرنكيس» حقيبتها وهمت بالقيام: إذن يجب أن تعذرني...

نهض العجوز بمساعدة عصاه: لا، لا... ابق هنا.

وقفت فرنكيس بعد أن كانت قد ابتعدت عدة خطوات عن المصطبة. ابتسم الرجل ابتسامة أظهرت تجاعيد وجهه بوضوح: لا تنزعجي مني، أرجوك اجلسي

أمعنت «فرنكيس» للحظة النظر في وجه الرجل العجوز الذي مازال محتفظا بابتسامته. بدا لها أنها تعرفه. كان من الوجوه التي يبدو أنها رأتها مرات عديدة. عادت ثانية وجلست في مكانها. قال العجوز: إذا أتيت يوما ما ولم أجد هذه المصطبة فلا أعرف، في الحقيقة، إن كان لي مكان آخر أتوجه إليه.

ألقت فرنكيس بنظراتها إلى رأس عصا العجوز الذي كان يحاول أن يحرك بها بعض الأوراق الجافة وقالت: نعم، في هذه الدنيا، كل إنسان قلبه متعلق بشيء ما.

قال العجوز: صحيح، صحيح. كان من الأجدر أن تقولي إن كل إنسان يخلق لنفسه المشاكل.

وضحك بصوت عال.

تنهدت فرنكيس. قال العجوز: أنا الآن متعلق بهذا الكرسي، وأنت؟

قالت فرنكيس: «مجكان».

ومالبثت أن ندمت!

قال العجوز: مجكان...

قالت فرنكيس: نعم، ابنتي.

وهل حدث لها طارئ ما؟

فرنكيس التي كانت تنظر إلى الشجرة الدلب نصف العارية أمامها قالت: لمن؟

قال العجوز: لابنتك؟

لا، لا... إنها بخير.

قال العجوز: فهمت... لا تقلقي... ستعثرين عليها.

سعل مرة واحدة وأردف قائلا: أنا أيضا بانتظار مصطفى خان، إنه عقيد متقاعد، أما أنا فلم أحب أبدا أن أكون عسكريا... أؤمن بأن الإنسان إذا ارتقت ثقافته فلن يحتاج بعدها إلى العسكرة ولهذا السبب أصبحت معلما.

قالت فرنكيس: معلم؟ مثلي.

نعم ثمانية وثلاثون عاما.

معلم ماذا؟

الفلسفة، كنت أستاذا للفلسفة. وأنت؟

التاريخ... تقاعدت الآن طبعا.

تمتم العجوز كلمة التاريخ عدة مرات ثم قال: جيد جدا ولكن ليس التاريخ... مهنتك جيدة ولكن التاريخ.

تريث قليلا. وضع يده في جيبه وأخرج علبة سجائر بيضاء، أخرج منها سيجارة وأعاد العلبة إلى جيبه بهدوء، ثم أخرج مبسمه الخشبي، الذي أسود رأسه من الحرارة، من جيب جاكيته الصغير وأدخل السيجارة فيه ووضعه على زاوية شفته. وضع يديه على جيبي جاكيته ثم أخرج من جيبه الأيمن ولاعة فضية اللون وأشعل بها سيجارته.

نفث الدخان لعدة مرات وقال: لقد اضطرني التاريخ إلى أن اتخذ عسكريا أنيسا لي.

سعل عدة سعلات متتالية وقال: لكن مصطفى خان إنسان شريف، وكان أيضا صديقا عزيزا لي.

رددت فرنكيس بهدوء: ولكنني لا أنتظر صديقا... ولم يرد أبدا أن يكون شريفا.

قال العجوز: لماذا أنت ساكتة، هل تسببت في ضجرك؟

- كلا... كنت أفكر في الماضي.

قال العجوز وهو ينفث الدخان من فمه: الماضي يعني التاريخ.

نظرت فرنكيس إلى أطرافها .لم يكن أحد في الحديقة.
قال العجوز: في هذا الفصل لا يأتي أحد إلى الحديقة إلا من أجل لقاء صديق.

قالت فرنكيس: لكنني لا أنتظر لقاء صديق على الإطلاق.

رمى العجوز عقب سيجارته على الأرض وبعد أن دعسه عدة مرات، نفث خارجا لعدة مرات الدخان المتبقي في المبسم وقال: إذن لماذا تريدين لقاءه هنا؟

مضطرة، من أجل ابنتي.

أي من أجل صديق.

كررت فرنكيس هذه الكلمات بهمس مسموع: من أجل صديق... من أجل ابنتي.

وابتسمت: أبتهل إلى الله أن يكتب لها السعادة.

قال العجوز وهو يحرك المبسم بين أصابعه الرفيعة الطويلة: أظن أنك تحبين ابنتك كثيرا.

اتجه صوب فرنكيس وقال: ما اسمها؟

مجكان؟

نعم، مجكان.

وضع العجوز المبسم في جيبه وسكت.

كانت فرنكيس تتمنى أن تتجاذب أطراف الحديث مع العجوز، لكن العجوز التزم الصمت. قالت فرنكيس: هل من الضروري أن يكذب الإنسان أحيانا؟

اكتفى العجوز بالابتسامة وخفض رأسه، سمع صوت خطوات هادئة على الأوراق الجافة. رفعت فرنكيس رأسها. اقترب منها طفل في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر ترافقه بنت في الخامسة أو السادسة.

كانت البنت تبكي وتركض بسرعة حينما وصلا بالقرب منهما... توقفت البنت وضربت رجلها بالأرض: أريد بوظة.

صرخ الولد: تأتين معي أو آخذك بالضرب على رأسك؟
أشارت فرنكيس إلى البنت: تعالي هنا يا عزيزتي الصغيرة.
نهضت من مكانها وسحبت البنت باتجاهها. مسحت وجهها بالمناديل الورقية. مد العجوز يده في جيبه وأخرج قطعا من الشوكولاتة وقدمها للطفلة. البنت واصلت شكواها: لا أريد... فقط أريد البوظة.
أزاحت فرنكيس الشعر من وجه البنت: ما اسمك يا حلوتي؟
ردت الطفلة بصوت منخفض: برستو...
مد العجوز يده نحو الطفل وقال: تعال يا ولدي...
أخذ الولد قطعة الشوكولاتة وشكر العجوز.
قال العجوز: كن ودودا مع أختك أيها الصبي.
قال الولد: احكموا أنتما، هل الآن أوان تناول البوظة؟
أخذت فرنكيس بعض قطع الشوكولاتة ووضعتها بيد الطفلة وقالت: انظري يا عزيزتي كيف أن يديك قد تجمدتا.
وقبلت خدها. كان الصبي ينظر إليهما بعينيه الزرقاوين الكبيرتين.
وضعت فرنكيس الطفلة على الأرض: اذهبي يا ابنتي... اذهبي يا عزيزتي.
وبينما كانت البنت تبتعد عنها تمتمت: أبتهل إلى الله أن يكتب لها السعادة.
هز العجوز رأسه قائلا: برمشة عين ترينهم يكبرون...
صوت أوراق الشجر والخطوات المسرعة جعلاها ترفع رأسها... إنه هرمز يسارع الخطى نحوها، تقدم وسلم بسرعة،

كان يلهث وجبينه يتصبب عرقا... كان وجهه محمرا، وكانت ترى بقعا صغيرة سوداء أسفل عينيه.

سأل: هل انتظرت كثيرا؟

ليس مهما.

مد هرمز يده إلى جيبه وأخرج منديلا. سقطت بعض التذاكر من جيبه. انحنى وأخذها وحشرها في جيبه. مسح العرق بالمنديل.

أشارت فرنكيس بيدها إلى الكرسي: لماذا لا تجلس الآن؟

نهض العجوز من مكانه. قالت فرنكيس: تفضل أنت واجلس هنا.

رفعت حقيبتها وقالت: الأمر سواسية بالنسبة إلينا. أشارت إلى كرسي أبعد في الاتجاه نفسه: نحن نجلس هناك.

جلست فرنكيس على حافة الكرسي ووضعت حقيبتها إلى جانبها. وجلس هرمز في الطرف الآخر من الحقيبة.

حولت فرنكيس نظراتها من الصوف الموجود داخل الحقيبة إلى وجه هرمز.

قال هرمز: الشوارع مزدحمة جدا.

ألم تأت من الطريق السريع؟

لا، السيارة... عادة تحت اختيارهم.

كان صوته قد تغير قليلا. أوشكت فرنكيس على السؤال: ألست مريضا؟

لكنها لم تتكلم.

ابتسم هرمز. لكن ابتسامته كانت مطعمة بالجفاف.

قال: بجد، استميحك عذرا على التأخير.

وضع يده في جيبه. أطرقت فرنكيس بالتفكير، لعله اشترى لها شيئا.

قدم لها هرمز مغلفا كُتب عليه «مهندس إلكتروني».

أخذت فرنكيس المغلف. أخرجت علبة النظارات من حقيبتها ووضعت نظارتها ذات المقابض الصدفية على عينها. أخرجت الرسالة والصورة من المغلف ونظرت إلى الصورة بدقة. كانت مجكان تقف إلى جانب شاب. كانت عيونها العسلية تضحك كما كانت هي في شبابها. وكانت لها صورة أخرى مع هرمز بجوار البستان وأمام أزهار الياسمين، حيث عبير الأزهار ملأ الفضاء. كانت ترتدي ثوبا ورديا من قماش الجورجيت، وابنتها تلبس بنطالا من الجينز وخطيبها يرتدي قميصا أزرق مقلما. قال هرمز: «الجيد في الأمر أنه ليس غريبا».

«وما الفرق في ذلك... المهم أن يعيشا معا بهناء وسعادة».

اكفهر وجه هرمز. وضعت فرنكيس الصورة والرسالة في داخل المغلف ورمته مع نظارتها داخل الحقيبة مع الصوف: «والآن، لماذا اخترت هذا المكان؟».

«هنا؟ أعرف مصورا جيدا...».

«لا بأس، كنا نذهب إلى استديو...».

اتجهت إلى هرمز وقالت: «ألم يكن أفضل؟».

«هذا يلتقط الصور بشكل جيد، ويظهرها بسرعة».

وضعت يدها في جيبها الجانبي وقالت: «قبل فترة التقطت صورة مع...».

أخرجت يدها وقطعت حديثها. ثم قالت: «أما أنا فقد كنت أفضل أن التقط الصورة في استديو التصوير».

«هنا تكون الصورة طبيعية. كأننا أمام حديقة بيتنا».

كم كان يحب حديقة بيته. لم يستطع أن يعتاد الحياة داخل الشقق. في البداية كان يشعر برغبة في النزول من السلالم. يجلس على حافة الحديقة ويستنشق عبير أزهار البنفسج بكل وجوده.

سقطت ورقة من الأشجار على تنورتها. رفعت الورقة. كانت مصفرة ومحدودبة. مسحت فرنكيس بأصابعها على نتوءات الورقة. قال هرمز: «من الأفضل أن نذهب لنشرب الشاي».

وضعت فرنكيس الورقة إلى جانب حقيبتها: «لا، لا أطيق الزحام أبدا».

«إذن أذهب لأشتري كأسين من الشاي وأحضرهما هنا».

قالت فرنكيس: «اشتر ثلاثة» وأشارت إلى العجوز.

ذهب هرمز إلى المقهى. كانت فرنكيس تسمع خطواته وهو يمشي على الأوراق الجافة ويبتعد عنها. أغمضت عينيها في لحظة تخيلت صورة هرمز أمام عينها. طويل القامة عريض المنكبين. يمسك بيد فتاة شابة وهو ينزل من سلالم متجره. فغرت الفتاة فاهها وأغمضت عينيها من شدة الضحك. تمتمت تقول: «كم هو سهل أن يشعر الإنسان بالسعادة!».

عاد هرمز نحوها وهو يحمل علبة كرتونية فيها ثلاث كؤوس بلاستيكية من الشاي. ومع أنها تحب احتساء الشاي في «استكانة من الخصر النحيل»(*)، لكنها ابتسمت في وجه هرمز وقالت: «سلمت يداك».

(*) تطلق على كؤوس الشاي التي تستعمل في إيران وفي الدول الخليجية، يضيق قطرها من الوسط وهذا قد يكون أوحى بإطلاق صفة الخصر النحيل عليها (المراجعة).

قدم هرمز كأسا من الشاي إلى الرجل العجوز، شكره العجوز. جاء صوب فرنكيس مع الكأسين الأخريين من الشاي ووضعهما بينه وبين فرنكيس.

كان في كل من الكأسين ماء مغلي مع كيس من الشاي يتدلى خيطه من الكأس وبجواره بعض مكعبات السكر.

مد هرمز يده إلى جيبه وأخرج علبة صغيرة. فتح العلبة ليخرج أقراصا مثلثة صغيرة: «لقد ارتفعت نسبة السكر في دمي كثيرا».

هز رأسه: «قال لي الطبيب لا تكن عصبيا. ولكن هل هذا ممكن؟».

رمى قرصا في فمه واحتسى جرعة من الشاي. قالت فرنكيس: «ما هذه الحياة التي صنعتها لنفسك بيدك؟».

شرب هرمز جرعة من الشاي: «لقد بلغ السيل الزبى».

كانت يده ترتعش. فرنكيس نظرت إلى الأرض. مع أنها كانت تظن دائما أنها حين تواجه هرمز ستصرخ في وجهه دون انقطاع، ولكنها الآن حينما تجلس أمامه لا تشعر بأي حقد تجاهه. كأنما الرجل الذي انفصل عنها ليس إلا صورة داخل إطار يصغر ويصغر بانتظام: «لقد برد الشاي».

وضعت كيس الشاي في كأس هرمز الخالي ووضعت قطعة من السكر في فمها واحتست الشاي جرعة فجرعة. قال هرمز: «أعرف أنك تلومينني دائما، ولكنك كنت أنت مقصرة أيضا...».

رسم أمامه شكلا دائريا بإصبعه: «إنني كالعقرب المحبوس في دائرة من النار».

فرنكيس كانت تراقبه بدقة. لم تكن عيناه السوداوان شفافتين كما كانتا في السابق.

كانت تتمنى أن تقول: في ذلك العام، كان من المقرر أن نذهب معا إلى مجكان، لكنك أفسدت كل شيء.

لكنها لم تنبس ببنت شفة.

قال هرمز: لو لم تتفعلي لكان من الممكن أن نتدارك الأمر.

ضربت فرنكيس القدح على الكرسي. تناثر الشاي المتبقي في القدح على الأطراف: كيف؟ كيف؟

سحب هرمز نفسه إلى الوراء قليلا: لم أقصد إزعاجك.. لعلي لم أحسن التعبير عن قصدي.

صرخت فرنكيس في أعماقها قائلة: كنت تسعى إلى شقائي وشقائك ليس إلا.

فجأة شعرت بالإرهاق. كان جسدها مثقلا بالتعب. زال كل غضبها.

كان هرمز قد اتكأ برأسه إلى الخلف وظل دون حراك. لون بشرته كان أبيض تماما. قالت فرنكيس في نفسها: كنت في فترة ما أعشق هذا الرأس. لكنها الآن ترى فقط شبح الرجل الذي يحدق إلى الأمام. شعرت فرنكيس بأن موجة من البرد تخترق جسمها.

عبر من أمامهما رجل وامرأة شابان. أخذت المرأة بطرف وشاحها ورمته خلف رأسها وأمسكت ساعد الرجل بإحكام.

وضع هرمز الأكواب داخل بعضها وسأل:

- حسنا، ماذا تفعلين أنت؟

- أنا؟
- قلت إنك محالة إلى التقاعد؟
- نعم... نعم...
- الآن ما هي مخططاتك؟
- أريد أن أذهب مباشرة إلى مجكان.
- وأنا مشتاق إليها أيضا.
- كيف؟ مع امرأة وطفلين.

قطع هرمز حديثه: هؤلاء الكسالى لا أصل لهم ولا نسب، وليسوا أولادي.

- ولكن أمهم هي زوجتك، أليست كذلك؟

هز هرمز رأسه وضغط بيده على شعره الأشيب خلف رأسه.

كلاهما التزم السكوت لعدة لحظات.

هواء بارد لامس وجهيهما. قال هرمز: الشتاء على الأبواب.

ثم واصل حديثه كأنه يتكلم مع نفسه: أتتذكر تلك الأيام حينما كنت في المدرسة. في الشتاء... حينما يهطل الثلج. كنت أغطي جوربي بكيس النايلون حتى لا تتجمد قدماي. لأني كنت ألبس أحذية رياضية.

تبسم مضيفا: آنذاك كنت أفكر في أني لو أصبحت ثريا فسوف أشتري حذاء لكل تلميذ من تلاميذ المدرسة.

نهض من مكانه: من الأفضل أن نذهب قبل أن يعم الظلام ونلتقط صورة.

أخذت فرنكيس حقيبتها ووضعت حزام الحقيبة على كتفها وذهبت مع هرمز باتجاه النافورة كان هناك جنديان واقفان بجانب

النافورة والمصور يلتقط لهما صورة. كان أحدهما نحيف ويبتسم والآخر يقف بجدية وبحالة تأهب.

أشار هرمز إلى المصور. تبادل المصور كلاما مع الجنديين وذهب نحوهما. كلاهما كان واقفا بجانب الحوض وظهره إلى النافورة.

طلب المصور منهما أن يقتربا أحدهما من الآخر. لم تتحرك فرنكيس من مكانها، لكن هرمز اقترب منها. شبكت فرنكيس أصابعها. قال المصور «ابتسما رجاء».

فرنكيس نظرت إلى العجوز الذي كان لا يزال جالسا وحده يحدق فيهما وابتسمت. للحظة تلألأ ضوء الفلاش في عينيها.

صيف ١٩٩٧

القصة الرابعة

«يجب أن نكون كالصخر»

تأليف: ناهيد طباطبايي



سنوات من العمل الإداري ومعايشة حياة النساء الموظفات عن قرب والتعرف على دوافعهن وسلوكهن وردود أفعالهن إزاء التحديات الإدارية والخاصة، تضع في متناول يد القاص عالما من الشخصيات والمواضيع والمواقع، عالما إذا فتحنا عليه نافذة اكتشفنا زوايا وخبايا جديدة من قضايا وهموم المرأة في البيئة الوظيفية وإسقاطاتها على حياتها، عالما حافلا بالمثابرة والتوتر والإرهاق وكثير من الجمود، ويخلو من النمو والتطور، بحيث تكون العلاقات المهنية والروابط الإنسانية غاية في التعقيد، وتتعامل أحيانا مع بعضها من باب التضاد لتخلق بنفسها حكايات جديدة، وتكون قصة «يجب أن نكون كالصخر» واحدة منها.

ناهيد طباطبايي

خلال السنوات العشر التي مارست فيها العمل الإداري أنتِ الرئيس السابع لي، أو ربما الثامن. لا أذيع سرا إذا قلت إن العمل مع الرجال بالنسبة إلي أفضل من النساء، لأن النساء، حاشاك، لهن طبيعة خاصة، يؤذين الإنسان في الغالب. مع إني امرأة لكني لا أطيق النساء مطلقا. أستميحك عذرا بالطبع، فأنا لا أعنيك وأقسم عليك بالله ألا تعتبري كلامي موجّها إليك. أنتِ ولله الحمد مثقفة ومن البديهي أنك تختلفين عن الأخريات كثيرا.

كنت أعمل في البداية في بدالة الهاتف فنقلني المدير الإداري، الذي لا يخاف الله، من البدالة إلى الديوان. يدّعي أنني كنت أتنصت على المكالمات، ولكنه كاذب. بنت خالة أمه كانت عاطلة عن العمل فقام بتوظيفها مكاني. كنت أحب بدالة الهاتف كثيرا.

كنت وحدي، أقفل الباب وأحضر السنارة والصوف وأقوم بربط المكالمات وكنت مشغولة على الدوام. إحدى كاتبات الطابعة اختلقت وشاية ضدي. كانت لا تطيقني.

الحكاية هي أنها عندما تسلمت وظيفتها لم تكن تعرف أحدا. ذهبت نحوها ودعوتها لتناول الغداء معي ما دامت وحيدة. كنا نذهب معا إلى مطعم الإدارة ليومين أو ثلاثة أيام، ولكني افتقدتها في اليوم الرابع، ولم تعد تأتي معي. شعرت بحنق ولكنني أضمرته في نفسي. بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع مرّت من جانبي وذهبت لتجلس على طاولة أخرى، الأمر الذي زاد غضبي عليها. قلت لها هل ترغبين في أن أخبر الجميع بأنك مطلقة حديثا. أصبح شكلها جديرا بالفرجة. لم تكن تعلم بأنني أعرف الموضوع. احمرّ وجهها

كالشمندر وذهبت إلى مديرها تجهش في البكاء. مديرها ذهب إلى المدير الإداري مباشرة. المدير الإداري قال إن أي شخص لم يكن يعلم بخبر الطلاق وأصرّ على معرفة مصدر معلوماتي. ادعت البنت بأني اتنصت على المكالمات. أنا كنت قد سمعت الموضوع عن طريق الهاتف بالمصادفة. كانت تكلم أمها حينما دخلت على الخط. لم أكن أقصد استراق السمع بل كبست الزر عن طريق الخطأ وسمعت كلامها. أصرّ الجميع على أني أتنصت على المكالمات، ولهذا نقلني المدير الإداري من بدالة الهاتف. لا سامحها الله، إنها ناكرة للجميل. كلما أحسنت إلى أحدٍ أصبح عدوي. لا يفوتني أن أذكّر بأن كل من يضمر العداء لي يواجه الهزيمة. هذا الأمر ثبت لي عدة مرات. نقلوني إلى الديوان. كنت أسجّل الخطابات الواردة. لم يكن المكان سيئاً لأني كنت أعلم بكل ما يجري. العمل إلى جانب رئيس الديوان أمر شاق لكثرة اعتراضاته وانتقاداته.

لا سمح الله لو سجلت كتابا بدل آخر يبدأ بالعراك والصياح. من الطبيعي أن يخطئ الإنسان. أقصد أنه كل إنسان يعمل معرض للخطأ. المدير الإداري نال جزاء فعلته وتعرّض لحادث اصطدام كاد يودي بحياته. كذلك الأمر بالنسبة إلى رئيس ديوان الخدمة. أنقل لكم ما حدث له، لم يمض سوى شهرين أو ثلاثة أشهر حين أرسلت رسالة بالخطأ إلى إحدى الشركات بدلا من أن تحال إلى الهيئة. كانت تتضمن موضوعا مهما، لا أعلم بفحواه، لكن أصحاب تلك الشركة كان من المفروض ألاّ يطّلعوا عليه. تم توجيه تحذير إلى رئيس ديوان الخدمة وهو بدوره أفرغ جام

غضبه عليّ. قلت له مادمت تتفرغ لحل الكلمات المتقاطعة من الصباح حتى المساء فعليك أن تتوقع مثل هذه الأخطاء. صحيح أن الخطأ بدر مني، لكن من المفروض أن تراقبني وتشرف على عملي. أنت رئيس الديوان ولستُ أنا.

ما إن سمع كلامي حتى جنّ جُنونه. صرخ في وجهي بأعلى صوته وذهب إلى المدير الإداري، لم تمض إلا خمس دقائق حتى عاد يرافقه المدير الإداري. أشار إلي المدير الإداري لأذهب إلى مكتبه. حينما دخلت مكتبه أجهشت في البكاء، قلت إنه يكدّس الأعمال على رأسي. سألني المدير الإداري كم كتابا تسجلين يوميا. قلت خمسون كتابا. قال هذا ليس عملا شاقا. قلت إني أعمل حتى وقت متأخر من الليل. أطرز مناديل الرأس النسائية مع والدتي. نحن امرأتان وحيدتان ليس لنا معيل. نضطر للعمل بالخياطة والتطريز. بالمناسبة لو أردت فسوف أجلب لك حجابا من هذه المطرزات لتراه، لا أشك في أنه سوف يعجبك. ليس غالي الثمن سعر القطعة الواحدة ألف تومان. يباع في المحلات لغاية خمسة آلاف تومان. ثم أضفت بأن رئيس الديوان هو الذي اخطأ في إرسال الكتاب. تأثّر المدير الإداري بكلامي وتعاطف معي، وجّه تحذيرا لرئيس الديوان واشترى مني ثلاثة مناديل رأس مطرّزة. بعد شهر أو شهرين دبّر رئيس الديوان مكيدة أخرى لينقلني على أثرها إلى قسم آخر. هذا أمر طبيعي، كيف من الممكن أن يقف الآخرون ضده ويدافعوا عني. ذهبت مرة أخرى إلى المدير الإداري وذرفت الدموع ولكن من دون جدوى. كان يقول إن المدير العام ساخط عليّ أيضا. يقول إنه رآني عدة مرات وأنا أخرج من

الإدارة وأعـود أثناء الدوام الإضـافي. الجـمـيع كـانوا يغـادرون ويرجعون مـتى شاءوا، ولكني أنا البائسة، فـقد ذهبت مـرتين أو ثلاث لأشـتـري العلكة. وفي كل مـرة يراني المدير العـام. المدير الإداري قـال إنه سـيـمنحني فـرصـة أخيـرة. وإذا كـررت المتـاعب فسيطردني من العمل.

كنت في الإدارة منبـوذة كمن يشـار إليهـا بالبنـان. لا يرغب أي من المديـرين في أن أعـمل مـعه. بقيت في إدارة شـؤون التـوظيف لمدة أسبوعين ثم جاء مدير الإدارة ببنت عمته لتحل مكاني.

حـقـا أنتِ ولله الحـمـد لست ابنة عـمـة أحـد من الكبـار، لماذا تحـدقين النظر بي هكذا. في هـذه الإدارة الجميع أقـرباء. أدركت هذه الحقيقـة عندما كنت في بدالة الهـاتف. خلاصة القـول رئيس إدارة التـوظيف أيضـا نال عـقـابه من مـعـاداتي وأصـيب بسـرطان الحنجـرة. ثم عُينت في العـلاقـات العـامـة كاتبـة طابعـة. كنت قـد اجتزت جميع الدورات التـدريبية سابقا. تعلمت أنظمة الحاسوب كلهـا، بالإضـافـة إلى التلكس وإرسـال الفـاكس، أتقنت كل الفنون والمهـارات، ولكنني لا أدري لماذا حـتى الأجـهـزة تعـاندني. في أحـد الأيام تتعطل آلة الطبـاعة وفي اليوم الآخـر يطرأ خلل في برنامج الكمـبـيـوتر. قلت لـرئيـسي: قطعـا هنـاك من يـأتي ويتـلاعب بهـذه الأجهـزة. نظر إلي من خلف نظارته نظرة أكثر سـوءا من المئات من السباب. كان يظن أني ساذجة ومقصرة.

ولكنك تعلمين من أين تنشـأ كل هذه العلل. ذلك لأنني لا أملك من يتوسط لي ولا أحمل شـهادة الثـانوية العامة، وهل الذنب ذنبي إذا لم يكن لدي واسطة ؟ وهل الحق عليّ لو رفضوا منحي شهادة

الثانوية ؟ قدّمت للامتحانات العامة سبع مرات ورسبت في المرات السبع. بينما هناك لفيف من البنات توظفن معي ويحملن الآن شهادة البكالوريوس.

السيدة نعمتي تقدمت للامتحانات العامة بفضل تشجيعي لها، والآن أنا أحمل الشهادة المتوسطة وهي خبيرة. حقا هل عندك من المعارف والواسطات من يعطيني توصية لمنحي الشهادة؟ في العلاقات العامة كاد المدير يصطدم معي لولا مجيء السيدة صمدي. كانت السيدة صمدي رئيستي سابقا. السيدة صمدي تحمل شهادة بكالوريوس في علم المكتبات. أي إنهم كانوا يقولون إنها تحمل هذه الشهادة! الرئيس الحالي أيضا رمى بي إلى المكتبة. كنت على وشك تنظيم المكتبة حينما جاءت السيدة صمدي. لا أتذكر هل أنا ذهبت إلى المكتبة أولا أم هي ؟ لا أطيل عليك. يبدو أنك قد تعبت، أليس كذلك ؟ لا بأس. وصلنا للتو إلى المواضيع المشوّقة. أقصد أن حلاوة القصة تبدأ الآن. لا شك في أنك تودين أن تعرفي من كان رئيس المكتبة قبلك ؟ طبعا أقول لك إني كنت أقوم بكل الأعمال. كل هذه الرفوف الخشبية نصبتها بيدي. رتبت كل هذه الكتب، الخلاصة أن العبء كان على عاتقي. السيدة صمدي كانت متكبرة. كلما كنت أصرّ عليها أن تسمح لي بصف الكتب ذات الحجم الواحد بعضها إلى جنب بعض كانت تبتسم بسخرية وتقول يجب أن نصنّفها حسب النظام.

أقول لها: اسمحي لي على الأقل أن أجمع الكتب ذات الغلاف المتشابه اللون على رف واحد، فترد عليّ: لا تتدخلي في هذه

الأمور. المرة السابعة التي ذهبت فيها لأداء الامتحانات العامة كانت متزامنة مع عهد السيدة صمدي. رسبت أيضا.

خلاصة الحديث منذ البداية لم يكن بيننا أي انسجام. اقترحت عليها أن نذهب لتناول الغداء معا. أتت معي ليومين أو ثلاثة أيام، ومنذ اليوم الرابع طلبت أن يحضروا غداءها إلى المكتبة. قطعا هناك من نمّ في حقي عندها. لا سامحهم الله.

من البديهي أن كل الذين اضمروا السوء لي نالوا عقابهم. لم يمض إلا شهر واحد حتى تخاصمنا. كانت السيدة صمدي في إجازة حين أرسل المدير العام شخصا يطلب كتاب «صب السبائك». وأنا البائسة أعطيته ديوان « شمس تبريزي»(*) للشاعر جلال الدين الرومي. تشاجر السيد المدير العام مع مسؤولتي السيدة صمدي، وهي كالعادة بدورها صبت جام غضبها عليّ. واصلت انتقادها لي حتى ذرفت دموعي. قلت لها (السيدة صمدي): «ليس من العدل أن تعذبيني لهذه الدرجة. اتق الله فأنا يتيمة ». قالت وكم عمرك. قلت: سبع وثلاثون سنة. ضحكت وقالت امرأة بهذا العمر ما زالت تبحث عن والدها. جن جنوني، أردت أن أنتف شعرها، ولكنني كنت خائفة. كنت أعلم بأن هذه المرة سيطردونني. وهذا ما كانت هي الأخرى تعرفه، ولهذا كانت تفعل بي ما تشاء. بعد عشر دقائق رقّ قلبها لي وجلست إلى جانبي وبدأت تسدي لي النصح، بأن أكون دقيقة وأحسّن سلوكي، وأكون كذا وكذا. ولكني قلت لها إني أعلم بأن هناك الكثيرين الذين نموا في حقي عندها. منذ ذلك الوقت كنا نتصالح أسبوعا

(*) عنوان الكتاب في اللغة الفارسية هو «شمش ريزي» وهو على وزن «شمس تبريزي» (المراجعة).

ونتخاصم ثلاثة أسابيع. كانت امرأة مجنونة. بمجرد أن ارتكب خطأ يغدو وجهها كالشمندر وتبدأ في الصراخ. وبعد أن تهدأ كنت أذهب وأقبّلها وأقول لها يامادموزيل قسما بالله أحبك. في المرات الأولى كانت تتحسن علاقتها معي، ولكن في المرة الرابعة عادت لتقول: أنت تريدين أن تصيبيني بالجنون. اذهبي واجلسي في مكانك ومارسي عملكِ، وتتهمك هي الأخرى في كتبها. كلما أردت أن أنطق بكلمة كانت تقول لي «اسكتي». قلت لها من حقي أن أبث همومي لأحد. كانت ترد: هذا لا يعنيني. أنتِ إما أن تستغيبي هذا وذاك وإما أن تبدأي بالانتقاد. ليس لي طاقة على هذا. مرت أربعة شهور ونحن على هذا المنوال. بمجرد أن يطرأ أي خلل في عملي كانت تحملني جميلا بادعائها أنهم يريدون طردي وهي التي تمانع. كان كل ماتقوله هراء. حتى أتى اليوم الذي بعثت فيه قصاصات الصحف اليومية إلى معاون المدير العام بالخطأ، حيث كان يختلف تاريخها عن المطلوب بأسبوع واحد. بسبب هذا الالتباس البسيط ثارت ثورتها وأقامت الدنيا ولم تقعدها. بدأت تصرخ في وجهي. بنت كالقزم، كانت تتوهم بأن حملها لشهادة البكالوريوس يجعلها تتملكني، وأنا بدوري لم أقصّر معها وتلفظت بكل الكلام السيئ الذي خرج من فمي. هي تصرخ وأنا أصرخ. حتى أنني لا أدري كيف أجهشت السيدة صمدي في البكاء فجأة.

ذهبت راكضة صوب مكتب المدير العام. لا شك في أنها ذهبت لتشويه سمعتي. حينما ذهبت خلفها إلى خارج المكتبة شاهدت كل موظفي الطابق الثاني قد تجمهروا خلف باب المكتبة فعدت أدراجي.

مضت عدة أيام والسيدة صمدي منقطعة عن العمل. في اليوم الرابع جاءت بهدوء وجلست خلف طاولتها. ذهبت لتقبيلها فلم تسمح لي بذلك. كانت مغرورة. جلست نصف ساعة وجمعت حاجياتها من الجرارات وذهبت ولم تعد. إن مجيئها إلى العمل كان عبثا. لا مكان في الدوائر الحكومية للشخص الحساس والرقيق. يجب أن يكون الإنسان كالصخر حتى يستطيع مواصلة العمل. سمعت بعد ذلك أنها ذهبت وقالت إنها لا تستطيع العمل. لا أدري ما كانت حجّتها. لكن المدير الإداري يقول إنها ذهبت وأذعنت بأنها هي المذنبة. يقول المدير الإداري لو أن السيدة صمدي نبست ببنت شفة لكانوا طردوني لا محالة. كلامه هراء. يقول إن السيدة صمدي ضحّت من أجلي، ولكني أنا أقول إنها مجنونة، لو لم تكن مجنونة لما كانت تتخاصم وتتصالح إلى هذا الحد. كوني على ثقة بإنها ستلاقي جزاءها. والآن أحمد الله لتعيينك. المدير العام تغير أيضا وعليك ألا تصغي لكلام البقية. قسما بالله لن تجدي موظفا هادئا ومثابرا مثلي، حقا إذا شئت من الممكن أن نذهب للغداء معا. أنا أجلب معي الخضار والمخللات عادة. بالمناسبة إذا سنحت الفرصة تكلمي مع المدير العام بخصوص إعطائي ساعات عمل إضافية. أقسم بالله أن الفضل والعلم يتقطران من جبينك. أقصد بأني واثقة من وقوفك إلى جانبي. لا تنسي رجاء، سنذهب إلى الغداء معا ».



القصة الخامسة

«فقدان شخص متوسط»

تأليف: طاهرة علوي

«فقدان شخص متوسط» مثل بقية قصصي مستقاة من الواقع واستغرقت كتابتها وقتا طويلا، كتبتها وأعدت كتابتها، بعد نقاشات وتحديات عديدة مع المنقّح، الابتعاد عن النص ثم العودة إليه مجددا وصقله حتى أشعر بأنه أوشك على الوصول إلى شكله النهائي، وهذا هو ديدني وأسلوبي الدائم.

أحيانا تجد كلمة أو سطرا أو معنى يتبلور ويستحضر قصة كانت تعشعش في زوايا ذهني منذ سنوات. القصص تحوي دائما جانبا من وجودنا، جانبا من الوقائع والأشياء، وجانبا من عالم الخيال والحلم. إن قصة «فقدان شخص متوسط» تحكي ضياع امرأة متوسطة في أحلامها المتوسطة.

طاهرة علوي

أجلس في المطبخ أمام النافذة وأحيانا أنظر لساعات إلى النوافذ المقابلة، إلى هذه القريبة جدا بحيث أسمع صوت مذيع الراديو بوضوح، وإلى تلك البعيدة جدا بحيث لا يبدو منها سوى ظل من إطارها الخشبي وستارتها. ثم أحاول أن أتخيل الحياة التي تدور خلف هذه النوافذ: المخاوف، الهواجس، الأفراح... هذه هي تسليتي.

خارج المطبخ هناك ضجيج يدوي لخمسة أطفال في أعمار تتراوح بين السبع أو الثماني سنوات، اثنان للجار الذي يسكن في الأسفل، وواحد لجارنا على الجانب الأيمن، والاثنان الآخران هما ولداي. يتجمع الأولاد في بيتي، حيث عندنا سلحفاة وطيور الحب وأنواع العناكب والصراصير. صوت الدراجة النارية المتهرئة يملأ الزقاق، إنه بائع الصحف. أعد حتى الخامسة والعشرين، أسمع صوت طرق، إنه يرمي الصحيفة من فوق الباب إلى فناء البيت.

أنهض وأجتاز السلالم بسرعة... إنني أقف حاليا في وسط الفناء. مساحة الفناء ثلاثة في خمسة أمتار. بخطوة كبيرة أصل إلى الجريدة، أنحني لأرفعها وألقي نظرة على العناوين الرئيسية للصفحة الأولى. ثم أنتقل بسرعة إلى صفحة الحوادث لأجدها تغص بالأخبار فأفرح لأن هذه هي تسليتي الأخرى. أصعد السلالم كل درجتين بخطوة، ثم أنفّذ أعمالي بالسرعة الممكنة وأذهب إلى الغرفة الخلفية، حيث لا يخترقها صوت ولا نور. آنذاك أشعل الضوء وأذهب إلى صفحتي المفضلة لألتهم مواضيعها. بعد قراءة مثل هذه الأخبار أصاب دائما بالهلع وينتابني خوف غريب، وإذا كان الموضوع عجيبا وساخنا فإن

نظرتي إلى من يعيش حولي، لاسيما زوجي والأولاد، تتغير. وبطريقة خاصة أتحاشى أي شخص وأي شيء، وهذا هو الجزء الأساس من تسليتي.

صفحة الحوادث هذا اليوم غاصة بالأخبار. لكنها تخلو من موضوع معين: تقرير حول حادث اصطدام في طريق همدان، انتحار شاب في السادسة عشرة من العمر، وشجار بين صديقين يؤدي إلى مقتل أحدهما، فقط. لكني أفضل المواضيع العائلية. كنت على وشك الانتهاء من الصفحة حين وقعت عيناي على صورة امرأة كتب فوقها «مفقودة»، وتحتها شرح يبين كيفية فقدانها. لكن الموضوع يختلف عادة عما يكتب في مثل هذه الحالات، زوج يعود إلى بيته بعد رحلة استغرقت عدة أيام ولا يجد أثرا لزوجته الشابة والمحبوبة. والآن يستنجد بالناس لمساعدته. ثم يزودهم برقم الهاتف الذي يبدأ بالرقم ٥٣٨.

«لماذا تضطر المرأة لترك بيتها وحياتها؟»، ثم أمعن النظر إلى الصورة بدقة أكثر، ليست واضحة تماما. فجأة يتوقف قلبي عن النبض. يزوغ بصري وتصعد الحرارة إلى دماغي. أرمي الصفحة وأمسك رأسي بين يدي، أضغط ثم أنهر نفسي «هدوء! هدوء!» لكني لا أهدأ. أنظر إلى الصورة من جديد. يا إلهي كيف يمكن أن يحدث هذا؟!

أنهض من مكاني، وأدور في الغرفة، ثم أذهب إلى الخارج. الأطفال مازالوا في محلهم، يمرحون ويلعبون. الآن هم ليسوا إلا دمى صغيرة وكبيرة تتنقل من مكان إلى آخر. أذهب إلى المطبخ أنثر الماء على رأسي ووجهي، وأملأ رئتي بالهواء وأفرغهما عدة

مرات، ثم أعود إلى الغرفة ثانية. أنظر إلى ما حولي. يمر ماضيّ كله من أمام عيني في لحظة واحدة: الزواج، شراء المنزل، ولادة الأطفال و... أعرف هذه الغرفة منذ القدم، وأعرف محتوياتها وأشياءها بكل دقة، بحيث إنني أستطيع أن استدل عليها وأنا مغمضة العين.

أمسك الجريدة مرة أخرى وأقف تحت المصباح، وأضع الصفحة تحت الضوء. مرة أخرى أعيد قراءة نص المرأة المفقودة، ولكن هذه المرة بدقة أكثر، أحدق في الصورة. هي عينها، أي إنها أنا.

هذه الصورة هي نفسها التي التقطتها قبل عدة سنوات، لبطاقة الضمان الاجتماعي. كانت لدي عدة صور إضافية... ذهبت بسرعة أبحث عن ألبوم الصور، هناك واحدة منها في الألبوم، في هذه الصورة أرتدي الحجاب وفقط تبدو ظلال من خصلات شعري في مقدمة رأسي. أُحدق إلى الأمام. جفني الأيسر منخفض، بسبب حاجبي والكسر الذي أدّى إلى شق بينهما. الآن أضع الصورتين إحداهما بجوار الأخرى، إنهما متطابقتان تماما، قلبي ينبض بسرعة، أضع يدي على قلبي، أحاول أن أحافظ على هدوئي. جبيني يتصبب عرقا باردا وأنفاسي تتقطع. أتنفس بسرعة ومع ذلك أحس بأن لا وجود لذرة أكسجين في الغرفة. أقطع صفحة الحوادث وأخفيها مع الصورة تحت طاولة ماكينة الخياطة. أخرج من الغرفة. رائحة الحريق والدخان ملأت المطبخ بأكمله. الأطفال تجمعوا حول قفص طيور الحب يراقبون حركاتها السريعة. أذهب إلى المطبخ مسرعة،

أشغل ساحبة الهواء (الشفاط) وأحاول أن أمحو آثار الجريمة بالسرعة القصوى. أخفي الطنجرة المحروقة تحت كابينة المطبخ، وأضع طنجرة أخرى على الطباخ. أجلس ثانية أمام الشباك، أريد أن أفكر في النوافذ المقابلة وما يجري خلفها ولكن.

حتى الساعة الخامسة من عصر اليوم التالي، حيث يذهب الأولاد مع والدهم إلى حديقة الحيوان، ليس لدي فرصة لمشاهدة الصفحة مرة أخرى. في النهاية، حينما يخلو البيت أقفل باب الصالة وأذهب إلى الغرفة، آخذ الصحيفة والصورة، وأعود إلى الغرفة، يجب أن أشاهدها تحت الضوء. لا أعرف ما هو شعوري بالضبط، هل أريد أن أكون تلك المرأة أم لا؟

النص المكتوب تحت عنوان «المفقودة» يختلف عن بقية النصوص التي تكتب لمثل هذه الحالة. يظهر أن شخصا متعلما ومثقفا قد كتبه. أضع صورتي إلى جانب الصورة المطبوعة ثم أمعن النظر جيدا، متطابقة تماما. أسجّل رقم الهاتف بسرعة. لكنني لا أقترب منه حتى الأسبوع التالي. يقل خروجي من البيت، وحينما أضطر للخروج من أجل التسوّق أحاول أن أتحاشى مواجهة الآخرين. كل يوم أطالع الصحيفة بشغف في الموعد المحدد صفحة صفحة، أريد أن أرى هل يعاد طبع ذلك الإعلان من جديد. لا، لا أثر له. لعلهم طبعوه في صحف أخرى، لا أعلم. حفظت الرقم عن ظهر قلب.

حينما يخلو البيت أجلس أمام الهاتف، اتصل بالرقم وبينما أضع يدي على سماعة الهاتف أحاول أن أحول دون وصول صوت أنفاسي إلى الطرف الآخر، ثم أصغي إلى صوت رجل يأتي من

الجانب الآخر، رجل موقّر ومتّزن بصوت دافئ يقول بهدوء: «نعم، تفضلوا»(*)، ولكني أقطع الاتصال مباشرة؛ أشعر بالخجل. لم أقم بمثل هذه الأعمال من قبل. إن لم أقطع الخط، هو أيضا لا يقطعه. نبقى صامتين، أشعر بالهلع وينتابني الاضطراب؛ أخشى أن يكون جهازه مزودا بكاشف رقم. استمرت تلك الحالة حتى بادر مرة وقال:

- تكلمي من فضلك. لماذا تلتزمين الصمت؟ أعرف أنك لا تقصدين إزعاجي، أنا متيقن من أن لديك ما تبوحين به لكنك مترددة، ضعي التردد جانبا... لن أؤذيك. إذا كان الموضوع متعلقا بالإعلان المطبوع في الصحيفة فاعلمي بأني أنتظر بلهفة.

أقطع الاتصال فورا؛ إذا هو بعينه، الرجل الذي يبحث عن زوجته. زوجته؟

زوجته؟ لقد تزوجتُ منذ سنوات، من معلم، معلم كسول، وعلى حد تعبير والدتي متوسط، في عمله، وفي مدخوله، وهيكله ومعلوماته وسلوكه وحبه، باختصار متوسط في كل شيء. لا أقصد اللعب بأحاسيس الآخرين، وأحذر نفسي دوما وأذكّرها بأن الناس ليسوا لعبة، ويجب ألاّ يكونوا وسيلة لتسليتك. إذا كنت عاطلة عن العمل فابحثي عن عمل؛ الأعمال المنزلية أو خارج المنزل. حسن اقترح ذلك عدة مرات ولكنك لم تبدي أي رغبة في ذلك. إذا كنت ترغبين في المكوث في البيت فلا تضيعي وقتك وراء الهاتف. مع ذلك أجلس القرفصاء أمام الهاتف. ترتجف يداي حين طلب الرقم إلى حد أن الرنين المشغول يُسمع قبل إدارة الرقم الرابع. أضع السماعة على

(*) في اللغة الفارسية تستخدم صيغة الجمع للتوقير والاحترام (المراجعة).

الجهاز وأذهب لأداء أعمالي. لقد تأخرت، الساعة هي العاشرة. أرفع السماعة ثانية وأستعد لإقفال الخط في أي لحظة. لكن لا أفعل ذلك. عند الرنة الثالثة الرجل نفسه يرفع السماعة ؛ صوته بالوقار نفسه والهدوء المعتاد مرة أُخرى. لا يمنحني فرصة للتفكير:

- أرجوك لا تقفلي الخط. أرجوك.

قالها بلحن يطغى عليه التوسل بحيث استدر عطفي وواصل حديثه لنصف ساعة تقريبا. حديثه يبعث على الفرح أحيانا وعلى الحزن أحيانا أخرى، دمعت عيناي قليلا. قال أخيرا:

- اقطعي الاتصال. أظن أني قد أتعبتك، ولكن أعيدي الاتصال مرة أخرى، هل توافقين؟ في هذا الموعد نفسه ودعيني أكلمك لمدة نصف ساعة فقط. لا أعرف شيئا خاصا عنك ولا أريد أن أعرف. أود فقط بصفتي صديقا؛ صديقا مجهولا، أن نتكلم أحدنا مع الآخر لفترة ونتبادل الهموم؛ فقط هذا.

يودّعني ولكن لا يقطع الاتصال. ينتظرني حتى أعيد السماعة إلى مكانها. أضع السماعة في محلها، وأنظر إلى الساعة؛ العاشرة والنصف. هذه ليست خيانة، أُكرر لنفسي في اليوم الواحد ألف مرة إنها ليست خيانة. مع ذلك لا أستطيع أن أبوح بالأمر لحسن. إن هذا العمل متأخر جدا، وسوف يؤدي إلى مشاكل. قطعا سيقول لي لماذا لم تخبريني من قبل. الحق معه.

قد انقضى الآن ما يقارب الشهرين على طبع الإعلان وتسير حياتنا بشكلها الطبيعي. ما عدا بين الساعة العاشرة والعاشرة والنصف يكون هاتفنا مشغولا. اعتزلت العالم الخارجي تماما. أجلس القرفصاء كل يوم أمام الطاولة الصغيرة التي يوجد عليها

التلفون وأبدأ الاتصال. بعد عدة لحظات، أي بعد الرنة الثالثة بالضبط أسمع صوتا دافئا يقول:

«نعم، تفضلوا»، وهنا يتوقف الزمن وتتوقف الساعة عن الدوران لمدة ثلاثين دقيقة. وهو دائما الذي يبادر بالقول: «يبدو أني أطلت عليك»، وأنا دائما أريد أن أصرخ بملء فم: «لا، لم أمل، لست متعبة أبدا».

لا يمر يوم دون أن يكون لديه حديث جميل يخبرني عنه: مرة يتحدث عن جمع المعونات للمصابين في كارثة الزلزال، وفي اليوم التالي يتطرق إلى حادثة وقعت في السجن... وهلم جرا. الخلاصة هي أن حياته تختلف عن الحياة الروتينية للناس العاديين أمثالنا.

ولكني ما زلت قليلة الكلام. في بعض الأحيان أحاول أن أطرح رأيا فقط وأتفوّه بجملة. أحاول أن يكون حديثي مقتضبا وبليغا، لأنه شخص مثقف وأنا أمام مثل هؤلاء الأشخاص أشعر بارتباك؛ أي لا أريد أن أقول شيئا يقلص من منزلتي أمامه. مع ذلك بعد كل اتصال حينما أتذكّر ما قلته أتمنى أن أذوب من الخجل. أخشى أن يحكم عليّ كما أحكم أنا على حسن؛ شخص متوسط. أشعر بالاشمئزاز والنفور من أن أكون متوسطة؛ إذا اقتضى الأمر أن أكون متوسطة فإنني أفضِّل ألا أكون أصلا.

إنه يختلف عن الآخرين. ينظر إلى أي مسألة من زاوية جديدة، ويطرح أمورا لم أسمعها من أحد إلى الآن. أسلوب طرحه يتفاوت في الأساس عن الآخرين. والشيء الآخر الذي يختلف فيه عن الآخرين أنه لا يجبرني على القيام بعمل لا أرغب فيه. لا يجبرني

أن أعطيه رقم هاتفي أو عنواني أو - كمثال - لا يصر على معرفة شيء أكره التحدث عنه.

فقط أحيانا يقترح أن نرى بعضنا. لكنه لا يصر على ذلك. يجعلني أعتاد على الأمر رويدا رويدا. لا يطلب الكثير: لقاء؛ وذلك فقط من بعيد.

أرضخ في نهاية المطاف. عليّ أن أقف تحت شجرة في زاوية ساحة «ولي العصر»، وهو ينتظر في الجهة الأخرى مقابل شعبة البنك التجاري. وبعد فترة يذهب كل منا إلى حاله.

طويل القامة، ذو شعر يخالطه الشيب، ووجه يلمع تحت نور الشمس.

ارتديت جاكيت طويل وحجابا أسود. أريد أن أمر بشكل عادي، لكن ما إن أرى تقاسيم وجهه الحزينة حتى ينفرط قلبي. آنذاك أتوقف لحظة تحت الشجرة. بالقدر الذي يمكن أن يراني وأن أبتسم.

أعود إلى البيت مسرعة. في نيتي ألا أهاتفه. ماذا سيظن بي؟ امرأة متسكعة يمكن استدراجها لخارج البيت لأتفه الأسباب؟ مع ذلك في اليوم التالي أعاود الاتصال في تمام الساعة العاشرة. صوته يرتعش من شدة اللهفة. يتكلم بحميمية خاصة، حميمية أكثر من المعتاد، ومتلهف كي نلتقي اليوم.

من هذه المرة يصبح مقهى «مدبِّر» مكان لقائنا. في إحدى المرات حينما أخرج حقيبته ليدفع الفاتورة، لمحت صورة امرأة؛ الصورة المطبوعة نفسها في الصحيفة. الصورة نفسها التي التقطتُها لبطاقة التأمين الاجتماعي قياس ٤×٦، ثم يقترح أن أنظر لعدة صور. آنذاك نمشي في الشارع كتفا بكتف ونتفرج على

الصور. حينما أنظر إليه من بعيد مرة أخرى؛ يبدو لي أكثر ألفة. أشعر كأني رأيت هذا الرجل مرات عديدة. لعله فقط تأثير الصور. أضع رأسي على نافذة سيارة الأجرة وأتصور أن علاجي المفضل هو حمام بارد وحبّة أسبيرين مدعمة بالكودئين.

لمدة يومين أعجز عن رفع رأسي عن الوسادة. حينما أنهض أخيرا من السرير، أتعرف على نفسي بصعوبة، لون بشرتي شاحب، عيناي متورمتان وشعري مجعّد. في مثل هذا الوضع أتجه صوب التلفون. بمجرد أن أسمع صوته يمتلئ ذهني مرة واحدة بآلاف الصور، وأنا هناك في كل واحدة من الصور بثيابي ومكياجي، في كل مكان بابتسامتي ونظرتي الشاحبة نفسها. كأن كل شيء يحدث للمرة الأولى وللمرة الألف. كل ظاهرة تبدو لي مألوفة وغريبة في الوقت نفسه، مع كل شيء أعرف كيف أتعامل ولا أعرف كيف، علمي وجهلي اقترب كلاهما من الآخر حتى اتحدا. أقف في صباح الغد أمام بيت قديم؛ بيت في زقاق ضيّق وطويل، بعد تقاطع شارع «أميرية» بقليل. اسأل نفسي ماذا أفعل هنا. أريد أن أعود ولكن بابا حديديا يفتح فجأة ويخرج هو منه.

- حسنا فعلت بمجيئك، مرحبا بك في بيتك، ماذا تنتظرين؟

يزداد النهار ظلمة حينما استوقفت بإشارة من يدي أول سيارة أجرة أراها من بعيد.

- ثلاثمائة تومان حتى «ساحة الانقلاب».

أعود إلى البيت وأعاهد نفسي على عدم الاتصال ثانية ؛ لا أجري اتصالا في اليوم التالي، ولا اليوم الذي يليه، ولا الأسبوع الآخر. لكن بعد هذا لا أستطيع أن أقاوم. أعد اللحظات لكي

أجلس القرفصاء ثانية أمام التلفون وأجري اتصالا بالرقم الذي يبدأ بـ ٥٣٨ بأصبع مرتعش. في أول فرصة يخلو فيها البيت أقوم بهذا العمل.

- عفوا يا سيدتي! من طلبتِ؟
- السيد جواد.
- ليس موجودا أيتها السيدة!
- أين هو؟
- إنه لا يعيش هنا منذ سنوات.
- كيف يمكن هذا يا سيد؟ لقد تحدثت معه قبل أيام.
- إنك على خطأ يا سيدتي! لقد رحل إلى بلدان الغرب منذ فترة طويلة.
- الغرب. إنك تهذي.
- أيتها السيدة! توقفي عن الإهانات.
- إذن أعطه سماعة التلفون. يجب أن أكلِّمه. لدي حديث مهم.
- يا سيدتي ! بأى لغة أكلمك ؟ لقد غادر إيران منذ سنوات وليس عندي أي رقم لهاتف يخصه.
- أيها السيد المحترم! أرجوك ألا تتسبب في إيذائي. إذا طلب منك أن تقول لي إنه ليس في البيت.(...).
- لا يا سيدتي، هذا الكلام غير صحيح. إنه حقا ليس هنا.
- بلِّغه رسالتي على الأقل.
- ألتمس العذر منك! لا أستطيع ذلك. كيف أبلِّغه؟
- أنتَ تكذب، أنا واثقة. لكن عليك أن تعلم بأنك ترتكب خطأ جسيما لا يعوَّض. هل تعلم أساسا ما الذي أريده. أريد أن أقول

شيئا حول الإعلان الذي طبعه في الصحيفة، هناك موضوع مهم.

- أي إعلان؟

- الإعلان المتعلق بفقدان زوجته.

- أوه! لقد تذكرت الآن. تقصدين ذلك الإعلان؟ إنه يعود لزمن بعيد، إنه أمر قديم.

- لا أفهم ما تقول. هل تتصور أنك تتحدث مع شخص مجنون. لا أريد أن أسمع صوتك المنحوس بعد الآن. لا أريد. (...)

أعيد السماعة. وأقفز من مكاني؛ الصحيفة، يجب أن أبحث عن الصحيفة، المكان الذي طبع فيه الإعلان. إنه الذكرى الوحيدة المتبقية لي.

صيف ١٩٩٧

القصة السادسة

«قفص الأوهام الرمادي»

تأليف: بوران فرخ زاد



ينظرالقاص إلى العالم الداخلي أكثر من اهتمامه بما يجري بالعالم الخارجي، حيث إنه لو استطاع أن يكتشف زاوية من هذه الفضاءات المجهولة لكان قد خطا خطوة عملاقة إلى الأمام في سبيل معرفة الإنسان. بطل قصة «قفص الأوهام الرمادي» شخصية خيالية. لكننا نصادف بين الفينة والأخرى نماذج لها في المجتمع، تعيش بيننا وبينكم وتثير تعجبنا بأعمالها.

لكن قلما يسأل الإنسان نفسه؛ « ... ماذا عنه؟ لماذا يخشى الحياة؟ علام يتهرب من إنجاز أعماله؟ لماذا يحب العيش وحيدا وبعيدا عن الجماعة، وقبل هذا وذاك لماذا يصارع الحب ويتجنب الارتباطات العاطفية ؟ وحتى تجده في هذا المجال يلجأ إلى غابة نائية لا يصلها أحد؟...».

هذه القصة ولدت في خضم كل هذه الاستفسارات التي كانت تعشعش في مخيلتي.

بوران فرخ زاد

السيد خاكسار خاموشي، بعد ثمانية وثلاثين عاما وشهرين واثني عشر يوما من العيش في قفص منزله الرمادي الصغير الواقع في قفص المدينة الكبير، المدينة التي تعج بالضوضاء والدخان، وفي ختام المطاف وبعد تحمل رياضات مرهقة، أوصل نفسه إلى حالة أيقن فيها أنه لم يعد في العالم شيء ثمين بإمكانه أن يهز بدنه، وكما كان يطمح منذ زمن، وصل إلى قمة اللامبالاة المطلقة. بعد ذلك كان يبدو باردا وصلبا وثقيلا، كلوح من الصخر، كان صامتا يتجاهل الناس ويتهرب منهم ويفكر في أنه لا يحب أحدا ولا يرتبط بأحد، ويحاول أن يجعل الآخرين يدركون هذا الموضوع.

يعيش كتمثال، كأنه بلا قلب ولا إحساس، أجبر نفسه على نسيان البكاء والضحك رويدا رويدا، وكما السمك خلت نظراته من أي تعبير، لم يكن يضحك أبدا ولا حتى يبتسم، أشعة الشمس لم تكن تضيء وجهه ولاظلال السحاب تجعله داكنا، وفي الحقيقة بعد سنوات من مصارعة النفس وممارسة التلقين والتمارين التي ظهرت شيئا فشيئا على صورة عادات واقعية استطاع حقا أن ينسلخ تماما عن سيرته الحقيقية. لا دوافع ولا ردود فعل، وعلى الرغم من كل العواصف التي تهب في صحراء الوجود كان يظهر نفسه كإنسان آلي يعيش كشبح بين الأحياء وكإنسان آلي يمضي في دروب حياته.

غادر أبواه الواحد تلو الآخر منذ سنوات، وبعدهما اقترن بامرأة تعيش الآن خارج دائرة حياته الراكدة حيث تاهت في

مجاهل الحياة، لم يكن لديه طفل، كما لم يكن لديه صديق، وكان يذهب لعمل لم يكن يرغب الذهاب إليه منذ البداية. يرقد ليلا على فراش قلما تبدلت أغطيته، ويحدق في قمر كبير ترتعش ظلاله البنفسجية على الشباك المغبر أحيانا، ويختبئ خلف مساحات الغيوم الرمادية أحيانا أخرى. وأحيانا يطيل النظر إلى النجوم الصغيرة والكبيرة حتى يرى نفسه واحدا منها، النجوم التي تتساقط أحيانا على الأرض، كحليب ينسكب من الجرة، لترسم ثغرات وهمية على آفاق السماء الزرقاء.

النسائم لم تكن تهب على وتيرة واحدة فتتحول إلى رياح أو طوفان، وغالبا تهب على شجرة الأقاقيا العجوز الكئيبة التي تفتحت أغصانها خلف الشباك، وتترنم بحماس خفي كتلك الآمال المستترة التي كانت تداعب أعماق وجوده على مر سنوات السكوت المنصرمة، هل كان يحب زينا حقا؟...

في تلك النقاط السوداء المستديرة، التي كانت تكوِّن ليالي الوحدة، كان يرى أحيانا عينيها الواسعتين الخضراوين بلون عيون «كاكائي» وهي حزينة وعاتبة، ينظر إليهما بتمعن، قطرات من المطر تتماوج على غابة عيونها ثم تنهمر على خدها المرمري فاتحة سواقي خضراء، لقد افتقد الاثنين اللذين يحبهما بكل سهولة...!

أخذوا منه «كاكائي»، وهو الذي أخذ زينا من نفسه. في هذا البيت القديم، في هذه الغرفة الصغيرة المتهالكة التي أمضى فيها لياليه حتى الصباح منذ أن بدأ حياته وأدرك وجوده.

في تلك الأيام، حيث لم يكن قد امتلك بعد القدرة على تكبيل حس الحب في أعمق زوايا وجوده، كان يعشق هذا البيت، يأنس بسقفه المتشقق المغطى بالدخان، أبوابه المتهالكة المكسورة، بالمربع الشائخ الذي يسمونه الفناء، الحوض الذي يتوسط الفناء، الذي يشبه الآن المستنقع العفن وأسماكه الحمراء والذهبية، التي ماتت الواحدة بعد الأخرى إثر موت والدته المفجع والمفاجئ، والحديقة التي تغص بالأعشاب والتي تحتوي فقط على شجرة الأقاقيا، التي تنتظر واقفة منذ سنوات هطول المطر الذي يسقي أحيانا جذورها العطشى... ولكن منذ أن أخذت زينا حقيبتها وغادرت البيت بعيون محمرة من الدموع ولم تعد بعد ذلك مطلقا، بدأ يذعن بأنه لم يعد يحب حتى ذلك البيت وقد أصبح غريبا بالنسبة إليه.

أجواء البيت ثقيلة، والتنفس فيها يبدو صعبا، كأن أشباحا نجسة تستنشق كل هواء البيت وتحول دون تنفسه. وتزامن ذلك مع شعوره بأنه لم يعد يطيق طاولة مكتبه المتهالكة، ووجوه زملائه الذابلة، وسلطة رئيسه الصبيانية.

المشروع الذي خطط له في خبايا وجوده إبان طفولته بعد موت «كاكائي» قطته السوداء العزيزة، بدأ يعطي أكله شيئا فشيئا في حوالي الأربعينيات من عمره، وكأنما مسافر الممرات الإعصارية قد وجد نفسه أخيرا على الرمال الدافئة لساحل الطمأنينة كموجود مجرد هادئ وراض وخال من أي حزن، ولو يفك آخر الحبال عن يده ورجله ويحرر نفسه من القيود المتبقية كما كان يطمح، فإنه حتما سوف يبقى دائما على رمال ذلك الساحل.

حينما وصل إلى تلك النقطة بعد ليلة طويلة من السهر والسهاد، لم يأبه في الصباح إلى نظرات زملائه المريبة وهمساتهم المتواصلة، حيث كانوا يحاولون فك ألغازه ورموزه، كتب استقالته ولم يذهب بعد ذلك إلى مكان عمله مطلقا.

لم تستغرق إجراءات بيع المنزل وقتا طويلا، دون أدنى تفكير في انخفاض أو ارتفاع السعر، ودون الخوض في التفاصيل الاعتيادية وافق على بيعه لأول زبون بكل بساطة، وحينما غادر مكتب البيع تنفس الصعداء مثل ذلك اليوم الذي نزل مع زينا تلك السلالم نفسها.

الآن في أرجاء العالم المضطرب لا يجد في نفسه تعلقا بأي شيء وبأي شخص وكنجمة بعيدة تدور حول مركزها يتصور نفسه أكثر الناس تحررا على وجه البسيطة.

في يوم ما في الصباح الباكر حمل حقيبة صغيرة وركب الباص المتجه إلى إحدى المدن النائية في الشمال. مدينة صغيرة أو قرية كبيرة تقبع على سفح جبل ينطح السماء وتطل على غابة عذراء.

حينما غادر مسقط رأسه، الذي أمضى فيه سنوات حياته، كان ينظر بلا مبالاة إلى الجدران والأزقة والشوارع والساحات، ويرى سكان المدينة كأنه لم يعش أبدا فيها، ولا يملك فيها أي ذكرى عزيزة.

بعد سنين من الصراع مع النفس يبدو الآن بشكل صحيح، أو غير صحيح، أنه ترجل عن جذع شجرته الذي طالما اهتز أمام العواصف الهوجاء الخفية والتحق بهدوء يدغدغ الروح بالجذور العميقة. لا يحمل هموم الأمس ولا هموم الغد، ويسبح كقطرة في

سكون بحر «الآن» أمضى عدة أيام باهتة كأشباح صامتة في فندق متواضع، يتمشى أوقات الصباح بلباس رمادي متهرئ في أجواء المدينة الرمادية المملوءة بروائح التراب والعواصف والمطر، ويتجاذب أطراف الحديث أحيانا للحظات قصيرة مع أحد المواطنين الذي يبدو قرويا، وفي يوم ما مشى من الهضبة التي بنيت عليها المدينة حتى مدخل الغابة مع عجوز كان يجلس غالبا أمام بقالة القرية الوحيدة ويدخن الأرجيلة.

كان يبدو جليا من إشارات أيديهما إلى الأشجار المتعانقة بأنهما يبحثان عن مكان ما أبعد عما تراه العين، مكان في ظل الأشجار المعمرة والشجيرات المتعانقة المخفية عن الأبصار تماما.

في اليوم التالي رآه أيضا عدد من أكثر الناس فضولية، الذين كانوا حتى ذلك اليوم يتابعونه بأعينهم وهو يتمشى بلطافة وخفة روح متحررة بين الأشجار، وينظر إلى الأمام كأنه لا يرى سوى نقطة واحدة. وربما كان يفكر في نقطة واحدة أيضا، تلك النقطة التي طالما استقطبته بسحرها حتى لبى نداءها، وفي أحد الأيام ذهب إلى الغابة رجل ذو جثة صغيرة بملابسه الرصاصية اللون، كأنه كتلة من الرماد يسحب حقيبته الصغيرة باتجاه الغابة، وبعد ذلك لم ير أحد السيد خاكسار خاموشي في تلك المدينة مطلقا.

***

الآن السيد خاكسار خاموشي وهو تحت الأغصان الطويلة والقصيرة لأشجار وشجيرات متنوعة اتحد مع وحدته، وعلى الرغم من تخبطه في ذاته فإنه كان يعجز عن أن ينقطع عن ماضيه بشكل تام، وأن يمحو كل ما سجله شريط عقله خلال

سنوات ويصل إلى نقطة البداية في شريط جديد، يرتقي إلى هدوء كان يتصور أنه وصل إليه منذ فترة سابقة.

الإنسان دون تفكير هو إنسان ميت، ودور الإنسان في هذه الحياة هو إنتاج الفكر ليس إلا، وحينما يصل الفرد إلى الوحدة المطلقة، لا تقع حوله أي حوادث، ولا تطرأ أي وقائع لتغير شيئا، لذا فإنه يفقد شروط إنتاج فكر جديد ويضطر إلى الوقوع في كمين الماضي، ويقوم بنبش الذكريات الضائعة والشكل يتبدل بهدوء إلى إنسان انتهى مستقبله في ماضيه، وليس الإنسان الذي يعيش في الحاضر ليخترق سبل المستقبل بواسطة الطرق الفكرية الجديدة. وإنسان بمثل حالة السيد خاكسار خاموشي في الغابة هو ميت على الرغم من أنه حي. طبعا هناك المعدودون من الناس يصلون إلى كيمياء السكون المطلق حينما يغوصون في أعماق الوحدة، يبدأون في التفكير لعلهم يشقون طريقا إلى لغز الخليقة الخفي، لكن السيد خاكسار خاموشي، الذي لم يكن إنسانا خارقا، أصبح في تلك الغابة النائية كمعمل نفدت مواده الأولية، يصل الليل بالنهار والنهار بالليل، وعلى الرغم من محاولته الهروب من الماضي والتنصل منه، وحيث إن دماغه كان يجب أن يعمل، فلقد عاش حصريا من خلال استلهامه بقايا ذكريات ماضي حياته.

لماذا كان حيا ويواصل حياته؟ منذ زمن، منذ زمن بعيد حينما كان لايزال يرتدي الجاكيت والبنطلون، ويتعطر بماء الكولونيا، ويدخن السجائر الأجنبية، ويباشر دوامه يوميا وهو متعب وساخط ومثقل بالهموم، كان قد قضى بإرادته على كل المكونات اللازمة لمواصلة الحياة، واحد تلو الآخر دون شفقة، ولم يعد

أمامه مبرر لمواصلة العيش، الأكل والنوم والاستيقاظ. تكرار الأيام والليالي دون أي رغبة واندفاع، دون توتر وشوق، دون فعل ورد فعل.

كان يمضي الليالي المظلمة والمعتمة والأيام المشرقة والمنيرة كجسد يقبع في تابوت متجمد، من دون أن ينتهز مرور الزمن الذي ينقضي بسرعة. كأن الليالي كلها والأيام كلها لم تكن سوى ليلة واحدة وأمامها متفرج بارد يفتقر إلى الشعور والإحساس، ويذعن بأنه في خاتمة المطاف سيغمض عينيه بوجه الشمس والقمر ويغرق في الظلمات.

لم يكن الربيع قد انتهي بعد، والغابة التي تغرق في خضرة زمردية تبدو نضرة وفرحة كصبية تندفع إلى بساتين الشباب، لكن السيد خاكسار خاموشي لا يأبه بالقبح والجمال، ينظر بعيون زجاجية إلى الأزهار الصفراء والورود الوحشية، يستنشق هواء الغابة العليل ويشاهد التماسيح الذهبية والأرانب البيضاء والأفاعي الهزيلة المرقطة التي تجرب الحياة بحركتها الدؤوبة، لكنه في الحقيقة لم يكن يرى أيا منها. كان يحلم في بعض الليالي بزوجته زينا أحيانا وهي تنظر إليه بعينيها الخضراوين اللتين كانتا أخيرا تنضحان عتبا. وفي بعض الأمسيات ترحل روحه إلى بيتهما القديم، المكان الذي ما زال يحتفظ بعبير والديه، كروحين وكشبحين. حينما كان صغيرا لم يكن أحد باستثناء «كاكائي» يعتني به، وكان يكذب ويسرق من أجل أن يلفت انتباه والدته ليثير غضبها. يخرب بعض الأشياء ويتلقى جزاءه ضربا، لكنها وحدها (قطته السوداء) بعينيها الكبيرتين الخضراوين، اللتين تقطران ذكاء،

هي التي تلعق يديه وتصغي لنداء قلبه. ثم يسقط جسد كاكائي ملطخا بالدماء في زاوية ما. عربة جمع النفايات تأتي لتنقل كاكائي، والده ووالدته لم يذهبا معا، بل واحد تلو الآخر، يغيبان في ظلمة الليل، البيت يبدو فارغا تماما، تبقى شجرة الأقاقيا عطشى والأسماك الحمراء والذهبية تنفق الواحدة تلو الأخرى على سطح ماء الحوض القذر، آنذاك تأتي زوجته زينا حيث تبدو عيناها كعيني كاكائي خضراء مملوءة بالحياة والألغاز، لا تتوقف عن الحركة، تبعثر أشياء البيت، تضحك، تشتم وتبكي كطير حبيس يلطم نفسه بقضبان القفص، وطار ذلك الطير أيضا وحلق بجناحيه وذهب وتركه وحيدا. لكنه لم يعد يشعر بهموم الوحدة أولا، يريد أن يشعر بها، لقد تدرب كثيرا حتى غدا لا يأبه بأي شيء. يبدو جسمه كأنه من الصخر بلا قلب ينبض فيه، حتى دموعه تحجرت.

متى ما كان يحلم بهذه الأشياء ليلا كان يشعر بالحزن قليلا في النهار. مع أنه يحاول أن يبدو غير آبه، لكنه كان يكذب في الحقيقة، لا على أحد، لأن أحدا لم يكن هناك، بل يكذب على نفسه. ومع أنه كان يتجاهل ذلك فإن قلبه كان يعتصر ألما ويغوص في أعماقه، كان يحاور نفسه أحيانا فيكون هو السائل والمجيب.

وأحيانا يجلس إلى جانب ينبوع الماء ويتمتم ببعض الأشعار، أو يرفع صوته ويغني بصوت عليل. وعندما كان يزداد شجاعة ويرفع صوته الجهوري فيشحب لون الأعشاب وتذبل الأوراق اليانعة وترحل أسراب الطيور من هناك مسرعة، حينما يشعر بالإرهاق يحبس صوته ويحدق في انعكاس وجهه في الماء، لكنه يخشى من رؤية نفسه دوما، كالدابة التي تفر خائفة من انعكاس صورتها

حينما تشرب الماء، ينتابه الهلع مما يراه من نفسه، ويهرب من ذلك المكان بخطى واسعة، كل يوم كان يزداد ضعفا واصفرارا وشحوبا. ينطفئ نور في أعماق عيونه، كمصباح ينفد وقوده وينطفئ. الارتباط يخلق الدوافع، وحينما تفقد الدافع فإن استمرار الحياة يصبح تكرارا مملا، وهل له مفهوم آخر؟

لعله لو يستطيع أن يفكر بعمق، لو يحاول أن يعرف محركات عقله واستعمالاته ويكبس أزراره بحكمة ويوجه أمواجه إلى الجهة المطلوبة، لأصبح بإمكانه أن يفكر في الحياة وألغازها، ويصبح لنفسه في تلك الغابة الهادئة بوذا آخر. لكن عقله لم يكن يمتلك حتى هذه القدرة، وحينما كانت تدب الحركة في مثل هذه الأفكار ينتابه نوع من الضجر ويشعر باللامبالاة تجاهها.

«لنفرض الآن أني أدركت من أين جئت، ومن أنا ولماذا ولدت، ماذا يحصل بعد ذلك، ماذا قدم الآخرون حتى أستطيع أنا أن أقوم بنفس ما قاموا به، دع هذه الأفكار فإني لا أطيقها...».

وهكذا بدأ يضجر شيئا فشيئا حتى من الخروج من كوخه صباحا، يكره الشجرة التي تغطي كوخه بأوراقها، يمل الأزهار الصفراء الوحشية التي ملأت كل مكان، من الفراشات السكارى الطائرة والنحلات الهائجة التي تتبادل العشق مع الأزهار، يكره الطيور.. لا يحب الشمس، ولا القمر ولا تسعد روحه من هبوب النسائم ولا يشحذ مخيلته سماع قطرات المطر وهي تهطل على الأغصان، كانت أغصان الأشجار تغط في النوم.

كان كالمرآة التي تقتبس الرسوم وتبتلعها من دون أي رد فعل وتمحوها، تتلخص حياته في الأعمال الغريزية التي يقوم بها بالإجبار دون أي مراعاة.

لماذا انتابته هذه الحالة، هل هي طبيعته الفطرية، أم أنه هو الذي صنع قدره؟ حينما أحضر أحد أولاد الجيران جسد كاكائي المخضب بالدماء إلى البيت لم يكن عمره آنذاك يتجاوز السنوات الأربع وبضعة أشهر، سيارة دهست تلك القطة الشقية وغادرت من دون أن تكترث، صرخت «بيبى خديجة» خادمة المنزل، هرعت الأم من السرداب وهي تلطم رأسها بقسوة، الولد الملطخة يداه بدماء كاكائي القانية رمى القطة السوداء على الأرض وركض في اتجاه باب المنزل، لكن خاكسار، الذي يبدو أنه قد تجمد في مكانه، لم ينبس ببنت شفة، سقطت السيارة الحمراء من يده على الأرض وأصدرت صوتا لكنه لم يتحرك، وقف فاغرا فاهه، شاحب الوجه، وعيناه كادتا تخرجان من الحدقة، كاكائي ملقاة على الأرض وهي مضرجة في الدماء، شعرها الأسود اللامع مغبر بالتراب، خيط رقيق من الدم يسيل من فمها على رقبتها، ضلوعها مغطاة ببقع الدماء. عيناها الخضراوان تحدقان في الأبدية، جامدتان كأنهما لم تريا النور مطلقا. النساء يتهامسن، الأم تمسح بزاوية وشاحها قطرات الدمع التي انهالت من عينيها لتعود صوب خاكسار. ما زال يقف صامتا ومبهوتا ينظر إلى كاكائي.

طال صمته إلى أن سحبت بيبي خديجة كاكائي من ذيلها ورفعتها من على الأرض، وأخذتها مسرعة نحو باب المنزل، فجأة ركض خاكسار وراءها، فتحت العجوز الباب ورمت القطة خلف الباب بقسوة، وقالت وهي تغلق الباب:

«آمل أن يأتي الزبال ويأخذها بسرعة، الهواء حار من الممكن أن يتعفن الجسد...».

هرع خاكسار إلى الباب ليفتحه، صرخت بيبي خديجة: «سيدتي تعالي وخذي هذا الولد. لو لمس هذه القطة الميتة فإنه سيمرض».

ركضت الأم باتجاههما وأمسكت بيد خاكسار وسحبته نحوها، لكن الولد واصل هجومه على الباب مرة أخرى، ولما أمسكت بيبي خديجة يده بقوة لتسحبه إلى الوراء انطلق أخيرا صوته المكبوت وصرخ:

«يا الله، أريد كاكائي.. أريد كاكائي».

ثم أجهش في البكاء.

وحينما أصيب بالحمى ورقد على سرير المرض كان يكرر هذه الجملة باستمرار: «أين أخذتم كاكائي؟... أريد كاكائي...».

كان يهذي لفترة أسبوع وحينما انقطعت عنه الحمى بقي صامتا، كأنه خاصم جميع أهل البيت، حتى نفسه.

كان والده حينما يعود من العمل يجلس إلى جانبه ويحاول أن يحاوره، بيبي خديجة والوالدة تتهامسان، العلاج الوحيد هو إحضار قطة صغيرة أخرى، هذا ما اقترحته إحدى نساء الجيران، حيث جاءت إلى البيت وهي تحمل قطة معها، قطة صغيرة رمادية كثيفة الشعر ذات عيون زرقاء سماوية براقة.

أخذت الأم القطة بسرور إلى غرفة خاكسار ووضعتها على ركبتيه من دون أن تتكلم، نظر الصبي إلى القطة الصغيرة طويلا، خرجت الأم من الغرفة، وبينما هي تجتاز الممر إذا بخاكسار يرمي القطة بحركة غاضبة إلى خارج الغرفة ويغلق الباب.

من هنا بدأت الكارثة، تبلورت في الخفاء ونمت كورم لتتحول في خاتمة المطاف إلى سرطان مؤلم. منذ تلك اللحظة التي انطفأ فيها نور الحياة في عيون كاكائي، ووضعوا جسدها المضرج في الدماء ككيس نفايات أمام باب البيت ليأخذه عمال النظافة، أغلق الفتى أيضا نوافذ وجوده بوجه كل الموجودات الحية، وحاول ألا يتعلق قلبه بأي شخص وأي شيء إطلاقا، ولا يحب أي شخص وأي شيء، إن المحبة مؤلمة، والشعور بالملكية أشد إيلاما... إنه الآن يخشى أن يحب، يخشى أن يفقد من يحبه في يوم من الأيام، وهذا الشعور ترسخ رويدا رويدا حتى أنه أصبح يلوذ بالفرار إن حاولت أمه أن تحتضنه، وإذا أراد والده أن يعانقه يتهرب منه، وإن أراد أحد أن يقبله فإنه يمانع. لم يكن يلعب مع أي شخص من أبناء الحارة ينشغل بنفسه ويسرح بخياله. تبدي الأم أحيانا امتعاضها:

«لا أدري لماذا أصبح الطفل بهذا الشكل...؟».

ويقول الوالد بحسرة:

«إنه عديم الإحساس كأنه لا يحب أحدا...».

لكن الحقيقة هي أن خاكسار كان يحب والديه كثيرا، لكن الخوف من الموت والفقدان يضطره إلى أن يخفي أحاسيسه تجاههما.

ما أكثر الأشياء التي تتمخض عن الأمنيات المكبوتة التي تنبت في الخفاء لتبحث عن وميض أمل للخروج، وبإمكان هذه الأشياء أن تغير مصير أي إنسان...

نظر إلى سلحفاة كانت تسير بين طحالب الساقية بهدوء، أمعن النظر وتمتم قائلا:

«ليت الإنسان يكون منذ البداية وحيدا. هكذا أفضل بكثير، لأنه لا يشهد موت أحد... كما سحل ذات يوم عمال النظافة القطة كاكائي... أينما تتجه ستخلق لنفسك آلاما جديدة، إذا أردت أن تعيش من دون آلام فعليك أن تنسحب من كل شخص ومن كل شيء، مثل هذه السلحفاة، مثل تلك الأسماك، مثل مجرى النهر هذا... مثل وضعي الحاضر!».

في الواقع إنه منذ بداية الكارثة، حينما خلق هذه الأفكار في خفايا وجوده وبلورها، ودع أيضا كل المسؤوليات الإنسانية وبدأ يصنع من نفسه موجودا لا ينفع نفسه ولا الآخرين.. جبانا عاجزا وهاربا من الحياة.

في إحدى الليالي، وفي أجواء تلك الغابة النائية، رأى كاكائي في المنام، قطة سوداء سقطت على صدره من السقف كالكابوس، وقعت عليه كنذير نحس، وبقيت تحدق فيه بعينيها الخضراوين الجاحظتين واللامعتين ببريق فسفوري، حدقت طويلا إلى أن تحولت إلى وجه امرأة بعيون بلون الأعشاب شديدة اللمعان. تصبب عرقا وكان يعشق هذه العيون على الرغم من كل التلقينات المسبقة لنفسه «عشق هاتين العينين الخضراوين اللامعتين طوال حياته» هذا ماردده دائما.

«كاكائي، زينا، زينا»، ومن ثم أجهش في البكاء المرير حتى آفاق من النوم، كان الليل يبدو أزرق وبنفسجيا من نور القمر، والعديد من عشاق القمر يواصلون نجواهم وبث شكواهم. خاكسار كان جالسا وسط سريره، أشعة سراج الليل المتواصلة التي تسربت من فتحة الباب كانت تدور في عقله مع أفكاره كشعلة من نار.

كان يهم بالخروج من باب صيدلية الحي حين واجه فتاة شابة وجها لوجه. سقطت عدة كتب كانت بيدها على الأرض. انحنى خاكسار ليجمع الكتب، وبينما هو ينهض ليسلمها الكتب تسمرت عيناه على عيني الصبية، كأن كاكائي كانت تقف أمامه. مع أن القطط لا يعرفن الضحك لكن تلك الصبية كانت تضحك بلطافة. أخذت الكتب من يد خاكسار ودخلت الصيدلية دون أن تفارقها الابتسامة، خرج خاكسار متوجها إلى بيته، منذ أن توفيت أمه لم يعد هناك من يفتح له الباب، كان أكثر هدوءا حين يدخل البيت، حيث ليس هناك من يستقبله ويسأله بمجرد أن يراه:

«أين كنت حتى الآن، كنت قلقة عليك، لماذا جئت متأخرا؟».

ولكن في ذلك اليوم لم يشعر بذلك الهدوء المعتاد، كان قد عاد إلى طفولته من جديد، حينما كان ينهض من نومه على حب كاكائي، ولا ينام حتى يحتضنها!... مع أنه تهرب من الحب طوال تلك السنوات لكن عيون البنت الخضراء كانت تدعوه من جديد إلى جنة أغلقت أبوابها دونه منذ سنوات عديدة. من دون شك فإن البنت ذات العيون الخضراء قد اهتزت من رؤيته أيضا، حيث إنهما حينما تصادفا ثانية بعد أسبوع ضحكت له بعينيها اللامعتين، ولما طأطأت رأسها قليلا أومأت له بأنها لم تنس ذكرى ذلك اليوم وفي اليوم نفسه أدرك خاكسار فجأة أن البنت تسكن على بعد عدة منازل من بيته، وأحس لذلك بشعوربهيج ينبعث من أعماقه، بحيث إنه شعر بالهلع. لا، لا، إنه لا يسمح لأي شخص ولأي شيء بأن يستدرجه إلى المحبة والتعلق. هذه العبارات كان يقولها لنفسه في الليلة نفسها، حينما كان يرقد وحيدا في فراشه القذر مع خيالاته التي تتوهج فيه

باستمرارالعيون الخضراء وتنطفئ، وكشخص يعاند مشاعره سعى على الرغم من الأحاسيس التي تنغرز كالإبر في قلبه، إلى أن يخلد إلى نوم هانئ ويستسلم للنعاس.

لكن وساوس تلك العيون الخضراء بقيت حية في وجدانه وكانت ترافقه في منامه حتى الفجر.

ربما لو أن تلك الشابة المسماة زينت، التي يطلقون عليها زينا، لم تذهب بنفسها صوب خاكسار وتجره مسحورا إلى وادي الزواج، لما فتح عقدة لسانه وبادر بخطوة إلى الأمام، لكان عاش وحيدا إلى الأبد على ذكرى الجراح التي خلقها لنفسه. لكن زينا التي اعتبرت برود وهدوء خاكسار علامة كبرياء وتمنع طالما عشقتها، فلقد نجحت في خاتمة المطاف وعصفت بهدوء ذلك البيت القديم المغبر الذي تنبعث منه رائحة الزوال بواسطة شطحاتها الأنثوية الشابة. أكثر حالات الحب تشبه المبارزة بين اثنين حيث يهزم أحدهما الآخر، وإن لم يحدث هذا وبقي الاثنان في حالة مبارزة فإن المشادات والقلق سيستمران.

قضت زينا أيامها ولياليها في مبارزة خاكسار، الذي لم يتكلم مطلقا عن الحب ولم يبد أى إحساس نحو زينا ينم عن الحب مطلقا، وكانت تتخيل نفسها عاشقة لهذا الجدول الحافل بالألغاز، في خضم هياج نسوي ينضح بالغرور والأنانية، وكانت تجهل أن خلف هذا البطل الهادئ الأعصاب والفاقد للأحاسيس هناك شخص صغير عاجز يتخفى ولا يخاف من الحب فحسب بل يخاف من نفسه. إنه بسبب خوفه من الحياة وتجاربها العاصفة يتشبه بالحلزون الذي يخبأ رأسه ولا يجرؤ على إخراج قرنيه.

هل كان يحب زينا؟ نعم، لعله كان يحبها حتى أكثر من قطته كاكائي، لكنه كان يخشى كثيرا السيل الجارف القادر على تحطيم جدران شخصيته المصطنعة المزيفة وانهيارها، وكان يرغب في أن يبني سدا في طريقه ويهرب منه.

في المساء حينما كان ينام إلى جوار زينا منصتا لأنفاسها يرى نفسه أسيرا بيدها مكبل اليدين والقدمين، كان يخاف إلى حد يضطره إلى أن يصطحبها في الصباح إلى المحكمة لينقذ نفسه من القيود التي كبلته بها تلك المرأة الفاتنة، وفي كل صباح حينما يغادر البيت يفكر في أنه لن يجد زينا في البيت حينما يعود في المساء.. ويذهب حزينا ومهموما.

لكن ربما لو لم يسمع الحوارات الدائرة بين أحد زملائه مع ضيف ذلك الزميل في ذلك اليوم الصيفي الحار، في إدارة تسجيل النفوس، حيث كان يظهر نفسه منهمكا في عمله، لما تجرأ على تحطيم ذلك السجن بهذه السهولة، وكان سيستمر وضعه كما كان في السابق. ولكن ذلك لم يحدث. السيد نصيري في إدارته كان مشغولا في مقر عمله بمطالعة الكتب أكثر من اهتمامه بالعمل، فجأة سأل ضيفه الذي كان يبدو مرهقا، في أواسط عمره:

«ماذا فعلت أخيرا مع أزماتك المالية؟».

«المشاكل لا تنتهي، بمجرد أن تنتبه لنفسك ينهال على رأسك حطام آخر... الحياة أصبحت شاقة هذه الأيام...».

«صحيح، هذه الحياة كبلت أيدي وأرجل الجميع... لم نصبح مثل بوذا على الأقل كي لا نتألم كل هذا الألم...».

«نعم، لكن تذكر أن أي شخص لا يمكن أن ينفصل عن كل شيء مثل بوذا ... نحن متعلقون بأيدينا وأرجلنا بهذه الحياة اللعينة، وليس أمامنا طريق للفرار...».

وهكذا فإن البوذا الكبير، ذلك العالم الذي لحق بالأنوار علمه من وراء الزمان بأنه من الممكن الخروج من قصر شامخ بسهولة، وتوديع حياة الرخاء والمرأة الجميلة والودودة والعائلة السعيدة، وترك كل شيء والذهاب إلى الغابة والجلوس تحت شجرة التين والحصول على كل ما يتمناه.

الفرق الوحيد بين السيد خاكسار خاموشي وبوذا الحكيم، هو أن بوذا كان يدرك جيدا ما يصبو إليه وما يريد، ولكنه كان يريد الهروب فقط، من كل شيء، من كل إنسان، من كل ما يربطه بالناس ويشكل سجنا له، كان كجندي لا يطيق الصمود في جبهات القتال ويهاب معترك الحياة، وأكثر ما يخشاه زينا، تلك الحورية الساحرة التي أوشكت أن تكبله بقيودها مرة أخرى، ولو وقع في الفخ فعليه أن يتجرع آلاما أخرى، لعلها تكون أقسى على قلبه من الألم الذي تركه موت كاكائي.

مع أن الحقيقة أنه وقع في الفخ منذ بداية لقائه بزينا، ومع أنه كان يأبى الاعتراف بذلك، حتى لو استطاع إنقاذ جسمه، فإن روحه ستبقى في ذلك الفخ إلى الأبد.

كان يريد أن يدرك هذه الحقيقة ولا يدركها في آن واحد، كان يصارع ويسعى إلى العثور على مخرج حتى واتته حجة مناسبة من خلال مشادة عائلية، وبينما كان يدوس قلبه المجروح بقدمه، ويحبس في حلقه الصراخ النابع من أعماق وجوده، استدرج زينا

الجميلة إلى المحكمة الشرعية وهي تذرف الدموع، وفي وسط أمواج من الحزن ارتسمت حتى على وجوه موظفي المحكمة وقعا الوثائق. كانت زينا مستمرة في البكاء، لكن السيد خاكسار خاموشي، الذي كان يصارع في الخفاء إعصارا عاتيا، حافظ كالعادة على مظهره الهادئ واللامبالي. حينما تقابلا أمام بوابة المحكمة وجها لوجه ليودع كل منهما الآخر، نظرت إليه زينا بعينين خضراوين مغرورقتين بالدموع، وأطالت النظر وقالت بصوت متهدج:

«في خاتمة المطاف فعلت ما كنت تطمح إليه. لكني واثقة بأنك ستندم في يوم ما... تذكر أني سأظل دوما في انتظارك وفي أي وقت تعود...».

صوت انطلق من أعماقها باكيا، لكنها لم تحرك شفتيها ولم تنبس بكلمة وغادرت في سكون ثقيل.

الآن بإمكانه أن يحطم كل الأصفاد والقيود ومثل بوذا ينطلق بشهامة إلى تلك الحياة التي كان يرسمها في مخيلته منذ الطفولة فلماذا التريث إذن؟!

ذلك اليوم كان يوما قاتما ورماديا. أسراب الطيور تحلق فوق أشجار الكمثرى في الغابات، وهو يحتضن رأسه جالسا على جذع مبلل يصارع أفكاره، وإذا بعينيه المرهقتين تقعان فجأة على حيوان صغير كثيف الشعر يدور حول غصن من الأغصان. بدا الحيوان كأنه يضحك بعينيه الصغيرتين الحمراوين، مع أنه تعهد لنفسه لسنوات بألا يفرق بين الجمال والقبح، لكن هذا الحيوان كان حقا ذا عينين جميلتين، كان ذقنه نحيفا وجلده أبيض مائلا إلى الاصفرار، أو ربما كان بلون التمر. لم يكن قد رآه حتى ذلك اليوم

في أطراف كوخه، أو ربما رآه ولم يره، لكنه اليوم تجمدت عيناه عليه. كان يتطلع إليه بذكاء إنسان، في ذلك اليوم نظرت إليه زينا عند مدخل الصيدلية بهذه الطريقة نفسها، ورأى في نظرات الحيوان الشيطنة الخضراء نفسها التي كانت تموج في عيني زينا، زينا... حقا أين هي الآن وماذا تفعل؟

كم مضى من الوقت؟ لا يدري، لكن الحيوان الصغير تحرك في النهاية، وبينما كان يتنقل من غصن إلى غصن، كان يكشف لخاكسار خاموشي عن بطنه الناعم، الأبيض المرمري. ألقى عليه نظرة مخادعة أخرى ثم غاب بسرعة وانقطعت معه أصوات الأغصان وعاد سكون الغابة، الذي كان ينضح دوما بموسيقى خفية. نهض السيد خاموشي من على جذع الشجرة ليواصل سيره كالعادة بخطى متعثرة، مع أنه لم يكن كالايام السابقة، كان الحجر الذي وقع في الينبوع لايزال يبعث الأمواج في المياه. في تلك الليلة شاهد بيته القديم في المنام، كانت أمه تفرش سفرة بيضاء وبدت مشغولة بتنظيف الخضار، وما إن دخل خاكسار من الباب وألقى عليها السلام حتى قالت العجوز:

«في الغد أريد أن أطبخ لك ولوالدك حساء الشعيرية والحبوب(*)، أعلم بأنك تحب هذا الطبق كثيرا...».

كانت دوما تختلق الأعذار للاستمرار في الحياة، هل كانت كما تدعي تحب زوجها، هل كانت تحب ابنها الوحيد كثيرا، هل كانت حقا تحبهما أم أنها تحب نفسها للغاية، وأنها تختلق هذه الدوافع لأجل البقاء والمزيد من البقاء ولأجل بقاء أفضل؟

(*) يصنع هذا الطبق من أنواع مختلفة من الحبوب، وفتائل رفيعة من العجين، ويأخذ عمل هذه الفتائل يدويا في العادة وقتا طويلا وجهدا كبيرا (المراجعة).

في الصباح، وبينما كان يدوس حشائش الغابة بقوة استعرض ما رآه في منامه ليلة امس، وتذكر العراك المتواصل بين والديه، الذي كان كقصة مكررة ومملة تبدو غالبا صبيانية ومضحكة.

«يا سيدتي، لا يستدعي عمل حساء الشعيرية والحبوب أن ترهقي نفسك إلى هذا الحد الذي يدعوك إلى التذمر من الصباح إلى المساء...».

«هل هذا جزاء من يبذل الجهد لكما، وهل أطبخ هذا الحساء لعمتي؟! إنه لك ولابنك».

«حسنا... وإذا أخبرناك أننا في الأساس لا نحب هذا الحساء ماذا ستفعلين حينها، هل ستتعبين نفسك ثلاثة ايام ثم تمرضين وتلزمين الفراش.. ألا تدرين ما الذي سيحل بنا لو فقدناك؟».

هل كان والده مبتليا بنفس دائه، وكان يخشى من موت زوجته، ولهذا عندما تتصاعد حدة العراك كان يصرخ قائلا «اللعنة على ذلك اليوم الذي وقعت فيه في فخك، ليتني لم أرك أيتها المرأة، ليت يدي كسرت حتى لا أوقع على وثيقة الزواج. كم سيدوم قلقي عليك»؟

جلس إلى جانب مجرى ماء فضي يمر من وسط الأعشاب وغمس يده في برودة الماء اللطيفة.

كان صوت أبيه يمضي مع جريان الماء: «ارحميني أيتها المرأة. تذكري أني لا أملك أحدا سواك في هذه الدنيا».

مع أن والديه مثل أغلب سكان العالم ينسجان خيوط سجنهما بأيديهما كالعنكبوت، ويمضيان الليل والنهار في ترديد الألحان الحزينة لكنه كان يتهرب من بناء هذا السجن. وحتى

حين قبع خلف قضبانه عبر دسائس زينا فإن ذلك لم يستمر طويلا بل حطم القضبان ولاذ بالفرار. مع أنه كان حبيس السجن مع كل هؤلاء.

«أحمد الله أنني استطعت أن أنقذ نفسي، ليس عندي أحد أشعر بالحزن على فقدانه، ولست ملكا لأحد ليصبح سجاني، الآن يجب أن أعيش وحيدا، فارغ البال، من دون مشاكل، من دون ارتباط... سأبقى في هذه الغابة حتى ينقضي عمري ولا شيء يستطيع أن يعيدني إلى الماضي».

بعد أسبوع من هذا التفكير اليومي... في الصباح، وكما هو المعتاد في كل يوم، كان يمشي في الغابة من دون هدف، من دون رغبة وشوق، وإذا به يسمع صوتا يشبه الأنين يسحبه إلى شجرة توت العليق الشامخة، حيوان صغير كثيف الفراء كان قد سقط على الحشائش تحت ظل الشجرة، كان ينظر إليه بعينيه الحمراوين، وهو يواصل أنينه... اهتز بدنه، كان قد رأى هذه النظرات في السابق، في ذلك اليوم في الزقاق الضيق والطويل، حينما مر بجوار زينا. نظرات الحيوان على الرغم من كونها حمراء وتطفح بالألم لكنها مشحونة بالإغواءات الشقية نفسها لعيني زينا الخضراوين.

في لحظة انهارت جدران الزمن، ظهر مشهد واختفى، عندما رفع خاكسار رأسه إلى الأمام قليلا. أيقن أن الحيوان هو سنجاب صغير.. سنجاب حديث الولادة...

كان خط من الدم يسيل من جانب فخده قد حول الأزهار الصفراء إلى اللون الأحمر، بحركة غريزية مد يده باتجاه

السنجاب الذي كان يستجده بعيونه ويتمنى اقترابه، لا شك في أن حيوانا مفترسا قد أوصله إلى هذه الحال. رفع السنجاب فسالت دماء الحيوان على يده ودوى صراخه في أرجاء الغابة، بدا أنه يعاني من ألم شديد. احتضنه بحركة منه وضمه إلى صدره ومضى إلى كوخه. غسل أقدام السنجاب بالماء البارد، ووضع قليلا من المرهم الذي كان قد جلبه معه على الجرح وربطه بمنديل، صب قليلا من الماء في فمه ووضعه على فراشه.

كان الحيوان ينظر إليه بشكل عجيب، كان خائفا، يتوسل، أو كان يتحايل عليه ليوقعه في فخه، كما هي الحال لدى أغلب الكائنات الأخرى... ما دامت تشعر بالحاجة فإنها تلتصق بالإنسان، وحينما تنقضي حاجتها لا تعود تتعرف عليه.

أشاح عنه بنظراته وغادر الكوخ، كان الخريف قد بدأ لتوه والدبابير كانت تحلق على أشجار التين والكمثرى في الغابة، جلس في زاوية وراح يحدق في طابور من النمل الضخم وهو يحمل ساق جرادة إلى جحره. في تلك الليلة نام هو والسنجاب المكسور الساق، والذي كان يئن من الألم في كوخ واحد. بعد فترة طويلة.. أصبح هناك كائن آخر يتنفس معه تحت السقف، بالضبط كقطته كاكائي... في تلك الليالي لم يكن يستسلم للنوم قبل أن يعانق كاكائي ويسمع صوت شخيرها...

تلك الليلة انقضت، لو أن الحيوان تماثل للشفاء بسرعة وذهب لحاله لعل القصة كانت ستسير بمجرى آخر، لكن السنجاب قضى كل أيام الخريف الأولى وهو يقبع في زاوية ويحاول أن يجر نفسه من طرف إلى آخر حين بدأ هطول المطر في الشمال. توالى

هطول المطر أياما وأياما على الغابة الخريفية الصفراء، وخاكسار والسنجاب يعيشان تحت سقف واحد، ولا ثالث لهما سوى راكب البغل الذي يجلب لهما مستلزمات العيش مرة في الشهر وينصرف، لم يكن هناك أى موجود آخر في تلك البقعة. هل كان خاكسار يعلم أنه بدأ بالتدريج يتعود على السنجاب وعلى شقاوته المتقطعة، وحتى على سماع صوت أنفاسه وقد وقع في فخ هذه العادة؟

كانا يتناولان الطعام معا وينامان جنبا إلى جنب، وحتى ترفع الشمس الشتوية الباهتة رأسها من خلف السحاب وتلقي بنظراتها إلى الأرض كان خاكسار يعانق أحيانا السنجاب الصغير ويتمشيان معا تحت الأشجار الشتوية.

انقضى فصل الشتاء واستفاقت الغابة من سباتها البارد لتبدأ فصلا جديدا، الآن يمشي السنجاب بشكل طبيعي ويقفز إلى خارج الكوخ ويتسلق الأشجار ويتجول هنا وهناك أمام الكوخ، لكنه كان يعود دائما إلى الكوخ ليتناول الطعام مع خاكسار، وكما هي الحال مع زينا التي زجت بنفسها في حياته كان ينام بجوار خاكسار، ومثل كاكائي كان يواصل الشخير طوال الليل، لكنه في يوم من الأيام لم يعد وقت الغداء إلى الكوخ، ومرت عدة ساعات أخرى دون أن يأتي، تواصل العصر بالمغرب، وغابت الشمس عن الأشجار التي بدأت ترتدي ثوبها الأخضر وأخذت معها ألوان الشفق الأرجوانية. جلس خاكسار ينظر إلى شعلة مصباح الزيت، فرش مائدة العشاء لكنه فقد تماما شهيته لتناول الطعام، كان يود أن يكذب على نفسه مرة أخرى:

«اللعنة، تخلصت من شره في النهاية، أتمنى ألا يعود ثانية».

في تلك الأيام حينما كانت زينا تعود إلى البيت متأخرة كانت تنتابه هذه الحالة ويردد لنفسه هذا الكلام، كان يقوم بتشغيل التلفاز ويبدأ في مشاهدة الصور التي كانت تتوالى مسرعة، لكنه لم يكن يرى أيا من المشاهد الهاربة. الكل يشبه زينا، وهو كان يرى زينا التي لم تكن تعود إلى البيت، وكان عليه أن يتجرع آلام فقدانها... لم يكن الليل قد انتصف بعد حين دخل السنجاب إلى الكوخ فجأة بحركة واحدة، وركض صوب خاكسار، لثم يده قليلا ثم جلس أمامه يحدق في عينيه، ربت خاكسار على كتفه وقال بسرور:

«لقد عدت أخيرا أيها الشقي».

ثم احتضن الحيوان الذي كانت عيناه مبتلتين وباردتين وألصقه بصدره. في تلك الليالي من ليالي الالتئام، حينما كان يستسلم أحيانا إلى جسمه قليلا، كان يحتضن زينا بهذه الحرارة نفسها، لكنه بمجرد أن ينتبه إلى نفسه كان يتجمد خلال لحظة خشية الوقوع في السجن والرضوخ إلى الحكم ويصبح باردا وصلبا، وتصبح يده لا إراديا خالية من أي شوق ولهفة.

وضع السنجاب على الأرض بغضب، أخذ قطعة من الخبز وقطعها فتاتا صغيرة ووضعها أمامه، ثم أدار ظهره ونام، لكنه لم يستسلم للنوم حتى أن رقد الحيوان بجواره وأطلق شخيره.

مضت أيام والغابة تبدو كنسيج مزدان بالأزهار الصفراء والزرقاء والبنفسجية. كانت الأشجار والأعشاب تغرق في الاخضرار تماما والفراشات أيضا تغني الأناشيد الخضراء، لكن

حينما ازداد نبض كل شيء حتى نبض الحجر، كان خاكسار يواصل حياته بلا مبالاة، وكان لا يزال يكذب على نفسه. مع أنه في الواقع حتى اليوم الذي لم يكن رأى فيه ذلك المشهد بعينه لم يكن حقا يعرف أي شيء عما تكون في نفسه. لقد كذب على نفسه إلى حد أنه لم يكن مستعدا لتقبل أي حقيقة.

السنجاب الصغير الذي كان يشعر بدماء الربيع تغلي في عروقه بدأ الآن يغيب أحيانا لساعات، يذهب ويذهب لكنه يعود دائما بفرائه المبلل متعبا مرهقا، ومع أنه يقضي النهار في أرجاء الغابة، لكنه كما في كل الأشهر المنصرمة ينام الليالي في غرفته إلى جانب خاكسار.

في تلك الأيام كانت الشمس قد نثرت لتوها أشعتها الذهبية على أشجار التوت البري حين تناهت إلى سمع خاكسار أصوات جديدة، تشبه أنينا شهوانيا أو ترنيما عاشقا.. وكان قد خلد إلى النوم لتوه حين شعر بحركات السنجاب وأيقن أنه ترك الكوخ على عجل.. ذهب ولم يعد حتى حان أوان النوم.

مضى يومان أو ثلاثة، وكان خاكسار لايزال نائما، حين انتشر ذلك الصوت الإغوائي في أرجاء الغرفة وشعر بالقفزة الصاروخية للسنجاب باتجاه الغرفة وصوت قفزاته على الأعشاب. هذه المرة نهض من مكانه وفرك عينيه وعند مدخل الكوخ راح يراقب الأطراف حينما توقف نظره فجأة في مكان ما، إنه السنجاب الصغير الذي وصل سن البلوغ هناك، لكنه لم يكن وحيدا بل مع سنجاب آخر، يصدر أصواتا عجيبة. يركض إلى الأمام ويتراجع، يشم تحت ذنب السنجاب ويدور حوله مبهوتا.. وهنا راودت ذهن

خاكسار شحنات من الغضب، وأوقعته في مستنقع كان قد فارقه منذ زمن طويل، ضرب يدا بأخرى وصرخ:

«أيها اللعين، ماذا تفعل؟».

السنجاب الصغير الذي انتصب فراءه، عاد ليلقي نظرة سريعة عليه ويصرخ ويكشر عن أنيابه، ثم التفت إلى السنجاب الآخر وركض الاثنان صوب الأشجار الشاهقة المتعانقة واختفيا خلال لحظات. خاكسار خاموشي قضى النهار بأكمله في ذلك المستنقع وهو يتخبط ويصرخ:

«ذهب إلى الجحيم ابن الحرام، لقد استرحت منه». ومع أنه كان يصغي أحيانا إلى أنين موشح بالبكاء يخرج من أعماقه، كأنه فقد شيئا عزيزا جدا... مثلما فقد قطته كاكائي ومحبوبته زينا.

في أنصاف الليل دخل السنجاب إلى داخل الكوخ واستلقى في مضجعه الدائم بجوار خاكسار الذي كان مستيقظا، لكنه لم ينبس ببنت شفة. كانت حالته تشبه رجلا ذهبت عشيقته مع شخص آخر ثم عادت.

«عديم الحياء... ابن الحرام، حتى أنه لايشعر بالخجل».

كان صوتا يثير السخرية، عبثا حاول أن يخنق هذا الصوت في داخله، لقد انهارت شخصيته المزورة الكاذبة واستيقظت شخصيته الخفية وكل محاولاته لإعادة شخصيته الخفية إلى سجنها القديم باءت بالفشل... وعند السحر حينما هرع السنجاب الصغير مرة أخرى لنداء أنثاه لم يعد باستطاعته السيطرة على نفسه، وكبطل مهزوم بدأ يجهش في البكاء بصوت عال... منذ ذلك اليوم الذي نقل زبال الحي القطة كاكائي على

عربته وإلى هذا اليوم، إلى هذه اللحظة، لم يهتز كيانه هكذا، ولم يبك بمرارة من اصطدامه بالواقع.

«إن اللعين بمجرد إحساسه بوجود أنثى لاذ بالفرار، ولهذه الأسباب هربت طوال عمري من الجميع».

كان مرميا فوق الحشائش، متقوقعا يذرف الدموع من أعماق قلبه، حتى أن أوراق أشجار الدلب والتوت والنباتات والأعشاب تلاصقت وارتسمت على ملامحها الكآبة والحزن.

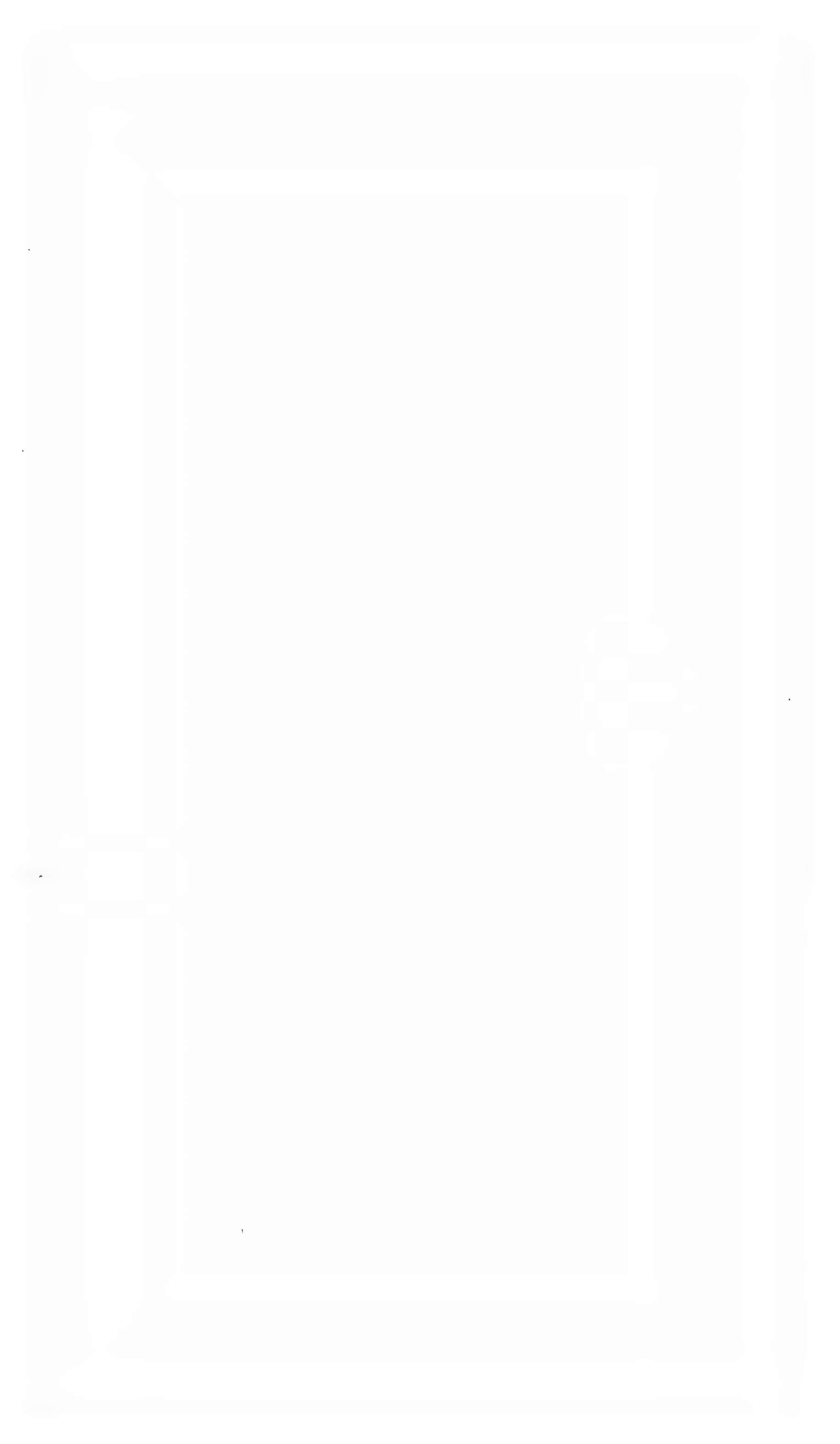
في صباح الغد الباكر رأى القرويون الذين يقطنون أعالي الهضبة التي تطل على الغابة رجلا ضئيلا يترك الغابة متجها صوب محطة حافلات النقل، وهو يحمل حقيبة في يده... رجلا بثوب رمادي وعين تبدو باكية كسحابة الربيع.. ولكن كان في أعماقها وميض من النور يشرف على الشروق.

شتاء ١٩٩٥

القصة السابعة

«القلعة»

تأليف: فرزانه كرم بور



لو أمعنا النظر في الحياة اليومية لكثير من الناس، لأعمالهم، أفعالهم وردود أفعالهم فسنواجه حقيقة عجيبة. نحن نرى ما يجب أن يحصل لا ما هو حاصل فعلا.

رجل يعيش وحده مع أوهامه حياة استثنائية، وعلى الرغم من معاشرته للآخرين، فإنك لا تجد أحدا يخترق عالمه. من خلال سلوكه يرفع جدران الوهم ويزيدها منعة، ويقبع هو في القلعة بين آلاف الزوايا.

كل إنسان يقطن في خبايا وزوايا القلعة التي يمكن أن تكون جدرانها من الزجاج أو من الحجر الصلب. أحيانا تنهار الجدران بالموت وأحيانا أخرى تبقى مهملة.

فرزانه كرم بور

حينما لم ير شيوخ الحي سعادة العقيد يأتي في الصباح الباكر إلى الحديقة لممارسة الرياضة الصباحية، ظنوا أنه مستغرق في النوم، ولما افتقدوه عند شراء الحليب من البقالة الموجودة في أول الشارع قالوا: لا شك في أنه مريض!

حينما كان هاتفه لايرد وامتنع عن فتح باب البيت لهم، قال جاره الملاصق لبيته لبقية الرجال:

- «لابد أن بلاء قد نزل به، يجب أن يصعد أحد من سطح بيتنا إلى الجانب الآخر، لعله يحتاج إلى مساعدة».

كان الفناء الكبير لبيت العقيد حافلا بالأزهار وأشجار الفواكه. هناك سياج طويل يلف البيت مغطى بأنواع اللبلاب والنباتات الشوكية مما يجعل البيت يشبه القلعة. كان العقيد وحيدا، وعلى الرغم من معرفته بأهالي الحي، لكنه لم يكن يدعو أحدا إلى بيته ولا يذهب هو إلى بيت أحد. كانت النسوة يرددن حكاية زوجة العقيد الشابة التي توفيت مع وليدها في أثناء الوضع، وإعرض العقيد عن الزواج حدادا عليها، وتناقلنها حتى بدت كأنها حقيقة مسلم بها. الشابات كن يبتعدن عن طريقه ويلقين عليه التحية بصوت خفيض. البعض منهن كن يتصورن أنه ينظر إليهن نظرات مريبة.

الرجال كانوا يعتقدون أن العقيد قد أصيب برصاصة في أثناء الانقلاب وأدّت إلى إصابته بعجز، وهذا هو سبب عدم زواجه، ولكونه تربى في دور الرعاية الاجتماعية فهو ليس له أقارب. أما هو فإنه لم يتحدث إلى أحد عن حياته مطلقا.

اثنان من الرجال صعدا إلى سطح المنزل. كان باب السطح مقفلا. صرخ أحد الشيوخ:

- «اكسره يا سيد... اكسره».

أشعة الشمس الصيفية كانت تحتضن الشارع بهدوء. الانتظار والترقب المزمنان اللذان استمرا ثلاثة إلى أربعة عقود أفقدا الحاضرين صبرهم. كان كبار السن يجلسون على الكراسي الخشبية المرتعشة ويستعملون المهفة لتلطيف الهواء. الأكثر شبابا يتجاذبون أطراف الحديث ويستبدلون قدما بأخرى في أثناء الوقوف. من أعلى السطح سُمع صراخ «انكسر القفل». تنفس الجماعة الصعداء وصفق الأولاد.

كان نسيم لطيف يهب من السلالم. نادى الرجلان: «سعادة العقيد...!».

سمعا صوتا خافتا لحفيف أوراق الأشجار. نظر كل منهما إلى الآخر ونزلا على الدرج. كان المكان يفوح برائحة النفايات والعفن. وصلا إلى مدخل واسع. نادى أحد الرجلين العقيد مرة أخرى. كانت أمامهما بوابة زجاجية مرتفعة. الغطاء الشبكي خلف الأبواب لم يكن يمنع مشاهدة الأثاث القديم والمرتب داخل الغرفة. كانت الستائر الثقيلة والغامقة تغطي النوافذ المطلة على الفناء، وكان الباب مقفلا.

أشارالرجل المسن إلى الصورة الكبيرة داخل الإطار المعلقة على الحائط وقال: «سعادة العقيد بلباس شرطي!».

ابتسم الرجل الشاب رافعا كتفيه. نزلا على الدرج. اشتدت رائحة النفايات. كان هناك ضوء خافت من خلف الزجاج الملون للمدخل الرئيسي ينير الممر. ألقى الرجل الشاب نظرة على المطبخ. إبريق الماء وإبريق الشاي والطناجر كلها كانت نظيفة

ولمّاعة ومرتّبة في الوعاء الخاص بالصحون. فتح الرجل الشباك المطل على الفناء الخلفي وقال:

- «الرائحة من هنا».

أغلق باب المطبخ وسأل:

- «حقا من يرتب له منزله؛ كل شئ يبدو مرتبا؟!».

- «هو بنفسه. وأحيانا تقوم بيبي بذلك».

بيبي عجوز خرساء تساعد أغلب نساء الحي في أعمالهن المنزلية.

دخلا إلى غرفة كبيرة تضم عدة كراسي مريحة وتلفزيونا قديما في صدر الغرفة، كانت هناك ثلاث صور تشاهد على الجدار. الصورة الكبرى تبين مجموعة من عناصر الشرطة تقف خلف رجل مكبل بالسلاسل. أحد رجال الشرطة كان قد وضع قدمه على كتف الرجل المكبّل. كان حذاء الشرطي يلمع تحت نور الفلاش. كان السيد كرامتي يقف في الصف الأخير، على مسافة قصيرة من الشخص الأول. كأنه تم تصويره بينما كان يمر مصادفة من ذلك المكان.

الصورة الصغيرة على اليمين كانت شهادة تقدير وإبلاغ الإحالة على التقاعد للشرطي كرامتي، أما الصورة الأخيرة فكانت على الجهة اليسرى ويظهر فيها وهو ينصب لوحة «زقاق كرامتي» على حائط بيته.

هزّ الرجل المسن رأسه وقال بصوت أصبح منخفضا بشكل لاشعوري:

- «وهذه من أفعال سعادة العقيد».

وكأنما انطلق إلى الفضاء زفير محبوس في الصدور. الغرفة الخلفية منفصلة عن القسم الأمامي بواسطة باب يمتد بعرض الغرفة. كانت الستائر معلقة وباب الغرفة نصف مفتوح.

ملأ صوت رنين الجرس البيت وآثار الهلع لدى الرجلين. قال الرجل المسن:

- «افتح الباب. الأفضل أن يكون معنا عدد آخر من الرجال».

ذهب الشاب إلى فناء البيت. سُمع صوت نعاله المصنوعة من البلاستيك وهو يَجرّه على الأرض. فتح الباب وقال بعد مشاهدة الجموع:

- «ليدخل بعض الكبار».

تدافع بعض الذين كانوا بالقرب من الباب نحو الداخل. أحدهم سأل:

- «ماذا جرى؟».

- «لا شيء حتى الآن».

كانت النساء يتهامسن وكانت عيونهن تلمع. قال الرجل المسن:

- «لم أجرؤ على الدخول لغرفته وحدي».

أحد الشيوخ دفع الباب الموارب وقال:

- «يا الله»!

أزاح الستارة. كان السيد كرامتي ممددا تحت اللحاف وينظر إلى السقف بعينين مفتوحتين. تهامسوا:

- «أصيب بالسكتة القلبية!».

قال أحد الرجال:

- «يجب أن نخبر مخفر الشرطة».

إلى جانب الجسد كانت هناك كتلة تحت اللحاف. تشبه جسما محدودبا أدار له ظهره... ذهبت امرأة وهي تتلو سورة الفاتحة إلى الطرف الآخر من السرير وأزاحت اللحاف بحذر. ارتفعت آهات الجميع. دمية كبيرة بحجم جسم امرأة كانت تحت اللحاف. شعرها الاصطناعي انحرف عن الرأس. في اللحظات الأخيرة من هجوم الألم، غرس الرجل أظافره في الشعر بحيث إن بعض الشعرات ما زال موجودا بين أصابعه الجافة. كانت ملامح وجه الدمية مرسومة.

كان خال أسود تحت الشفاه قد أصبح باهت اللون بمرور الزمن. إحدى النساء سألت باستغراب:

- «كيف وصلت تنورتي إلى جسم هذه الدمية؟ لقد بحثت عنها في كل مكان!».

أخذت النساء الدمية إلى الغرفة الأمامية. تعرفت كل امرأة على قطعة من ملابسها المفقودة. كان الجميع ينظر أحدهم إلى الآخر وإلى الدمية القماشية المعبأة بالقطن بدهشة واستغراب.

كان في الخارج صبي يصرخ بمرح وبهجة:

- «تفاحاته غير ناضجة ولكنها قابلة للأكل».

ملأ صوت ضحك الأطفال فناء البيت. أحد الرجال حاول أن يغمض عيني الشرطي كرامتي المفتوحتين.

المترجم في سطور

أ. سمير أرشدي

- إيراني.
- حاصل على شهادة البكالوريوس في علوم الترجمة العربية والفارسية - جامعة طهران.
- حاصل على شهادة دبلوم دراسات عليا من الجامعة اللبنانية، كما قدم أطروحة الماجستير عن «الصاحب بن عباد» - الشاعر الوزير.
- عضو اتحاد الكتاب والأدباء العرب.
- له العديد من المقالات الفكرية والبحوث الأدبية في الدوريات الأكاديمية والأدبية بالعربية والفارسية.
- يقوم بتدريس اللغة الفارسية في كلية الآداب بجامعة الكويت حاليا.

المراجع في سطور

د. زبيدة أشكناني

- كويتية.
- حاصلة على شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية من جامعة درهام.
- أستاذ مساعد في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب.
- لها بحوث عدة في الأنثروبولوجيا، إضافة إلى عدة ترجمات من اللغتين الإنجليزية والفارسية إلى العربية.
- راجعت عدة نصوص لسلسلة «إبداعات عالمية» وهي: دراسة إبداعية «واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق» - رواية «نون والقلم» - دراسة إبداعية «ست وصايا للألفية القادمة» - «حكايات الهنود الأمريكيين وأساطيرهم» (مجموعة قصصية).

الفهرس


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب

سبع نساء... سبع قصص

في هذا العدد من سلسلة «إبداعات عالمية»، نسلط الضوء على القصة القصيرة في الأدب الفارسي، فالمجموعة القصصية التي بين أيدينا، وتحمل عنوان «سبع نساء... سبع قصص»، تضم سبع قصص لسبع كاتبات فارسيات من المواهب الجديدة الواعدة اللاتي استلهمن تجاربهن من جيل رواد القصة في إيران، مثل: محمد علي جمال زاده، صادق هدايت، بزرك علوي، جلال آل أحمد نجم، سيمين دانشور... وغيرهم، وبدأن نتاجهن الأدبي الإيراني، حيث اعتلت القاصة الإيرانية مكانة مرموقة ومهمة.

ومن كاتبات هذه المجموعة القصصية فريدة خردمند، صاحبة قصة «عشيقة الليل»، التي يقوم عالمها القصصي على التفاعلات الاجتماعية وتأثيرها في نمو الشخصية الإيرانية النسائية، والقصة الثانية «عشاء ليلة العيد» للقاصة مهين دانشور، فيها محاكاة درامية تجسد انتهاء مرحلة زمنية تتزاحم فيها الأحداث لتزول في بداية عام جديد يمحو روائح التشرذم والضياع.

وتأتي القصة الثالثة في المجموعة، وهي بعنوان «صورة فورية»، للكاتبة منصوره شريف زاده لتعكس بعضا من العلاقات الاجتماعية وأثرها في ردود فعل الأشخاص. ومن ثم القصة الرابعة لناهيد طباطبايي وهي «يجب أن نكون كالصخر»، التي تتناول واقع المرأة بكل تعقيداته ومراراته، وتغوص في عالم العلاقات المهنية الحافل بالمثابرة.

والقصة الخامسة في المجموعة لطاهرة علوي، وهي «فقدان شخص متوسط»، قصة مستقاة من الواقع، تحكي عن ضياع امرأة في أحلامها المتوسطة، تليها القصة السادسة بعنوان «قفص الأوهام الرمادي» للكاتبة بوران فرخ زاد، وهي قصة تحاول أن تجيب عن مجموعة من الاستفسارات التي تعشش في مخيلتنا من مثل لماذا يخشى الإنسان الحياة، ولمَ يتهرب من إنجاز أعماله؟

أما القصة السابعة والأخيرة «القلعة» فكتبتها فرزانه كرم بور التي تعتقد أن كل إنسان يقطن في خبايا وزوايا قلعة يمكن أن تكون جدرانها من الزجاج أو الحجر، وأحيانا تنهار الجدران بالموت أو تبقى مهملة.

في هذه المجموعة نجد أن هناك قواسم مشتركة بين القصة الفارسية والعربية وذلك لتقارب أنماط الحياة بينهما وتشابه العادات والتقاليد وتمازج الثقافتين.

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٠٢٨
ردمك: ٠ - ٢٠٥ - ٠ - ٩٩٩٠٦

hamza mizou